القديس بطرس الرسول
يُعلِّمني

تأمَّلات مستوحاة من حياة
القديس بطرس الرسول

القمص لوقا سيداروس

اسم الكتاب : **القديس بطرس الرسول يُعلِّمني.**

تأمَّلات مستوحاة من حياة القديس بطرس الرسول.

المؤلـــــف : القمص لوقا سيداروس.

الناشـــــر : كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس ـ سبورتنج.

الطبعـــــة: الأولى ٢٠٠٧م

المطبعـــــة : مطبعة دير الشهيد مارمينا العجائبي بمريوط.

ت: ٠١٢ ٢١٥٢٨٥٦ & تليفاكس: ٠٣ ٤٥٩٦٤٥٢

القديس بطرس الرسول

بِاسم اللَّه القوي

مقدمـة

كان عمل الخلاص الذي صنعه المسيح ابن اللَّه لمَّا تجسد وصار إنساناً. في التدبير الإلهي منذ الأزمنة الأزلية، ولا شكَّ أنَّ كل ما اختصَّ بهذا الخلاص الإلهي كان في عِلْم اللَّه السابق. وقد سبق وأنبأ به بواسطة أنبيائه القديسين فتكلَّموا وشهدوا عن الزمان والمكان والنِّعم وملامح عصر المسيا وآياته وعجائبه وصلبه وموته وقيامته ورأوا المواعيد من بعيد وحَيَّوها.

ومن ضمن ما تكلَّموا عنهم، الرُّسل الأطهار الذين اختارهم الرب من بين الناس ليجعلهم أسباط عهده الجديد وبُناة ملكوته والحاملين كلمته وقوة قيامته للعالم.. ومن أبرز هؤلاء الرسل الأطهار، القديس بطرس الرسول وهو شخصية مُتميِّزة غنية. وقد سجَّل الوحي الإلهي عنه الشيء الكثير.

ألزمني المرض أن أعتكف في منزلي لمدة أسابيع، فوجدت نفسي مشغولاً بحياة بطرس الرسول بطريقة عجيبة، وكأنه لا يُفارقني في صحوي وأثناء نومي. وكانت دقائق وتفاصيل حياته تتوارد في ذهني كأنه يسرد عليَّ خبرته الفريدة في تعرُّفه على شخص المُخلِّص وحياته فيه وبه إلى نهاية الأيام.. فكُنت أُسجِّل هذه الخواطر كأنها على لسانه.. فجاءت طبيعية خالية من الخيال مرتكزة على ما هو مكتوب. لم أرجع

إلـى كتـب أو مراجـع، فلسـت أكتـب سـيرة حياتـه كتحليـل لشخصـيته أو كتـاريخ لأعمالـه أو تسـجيل لآثـار فـي الكنيسـة، فمكتبـات الكنيسـة مليئـة بمثل هذه الأبحاث والسِّجلات.

ولكن هذه الصفحات التي بين يديك أيُّها القارئ العزيز هى ترجمة بسيطة لحياة زاخرة موضوعة كأنها في قالب قصصي لخبرة حياة عبد ورسول يسوع المسيح المُكرَّم بين الرُّسُل الأطهار والمعتبر أحد الأعمدة الكبار.

وأثق بالرب أن سَرد حياة كهذه يلهب قلب القارئ بروح الحب للربِّ والمُخلِّص وروح الإخلاص والتبعية حتى الموت، موت الصليب.

ليجعل الرب هذا الكلام سبب بركة وسبب خلاص لكل مَن يقرأه. آمين.

تذكار ظهور الصليب المجيد

١٠ برمهات ١٧٢٣ ش

١٩ مارس ٢٠٠٧ م

القمص لوقا سيدامروس

القديس بطرس الرسول يُعلِّمني

هب أنني جلست عند قدمي مار بطرس رسول يسوع المسيح وبدالة البنين قُلت له: إن حياتك زاخرة بخبرات في الروح نادرة، فأنت أكثر الرُّسُل تفاعلاً مع الدعوة الرسولية، وأكثرهم تلقائية وانفعالاً واستجابة. وقد خصَّك المسيح بخصوصيات في مواقف لا حصر لها.

وإن كانت الكنيسة بحسب التقليد تدعو القديس بولس الرسول "مُعلِّمنا بولس"، فأنت في تقليد الكنيسة "أبونا بطرس". فنعمة الأبوة تدفعني أن أُحدِّثك كأبي وأصير منك كابن يتكلَّم بلا حرج ويتعلَّم ويتلقَّن ويستوعب ما تختزنه الأبوة من عطاء وسخاء.

- قل لي يا أبي عن بداية تعرُّفك على شخص المُخلِّص.. يسوع ابن الإنسان.

+ سيرتي قبلاً كانت كسائر أقراني في سني وفي مُجتمعي البسيط، فقد نشأت في قرية بيت صيدا، وتربَّيت فيها أُمارِس مُنذُ حداثتي صيد السمك لأنها هى المهنة التي تتصف بها قريتي. فصار صيد السمك هوايتي في بداية الأمر ثم انتهى بي الأمر أن يصير الصيد هو عملي الذي أحصل منه على معيشتي.. جاءني أندراوس أخي الأكبر يوماً يقول: قد وجدنا مسيا. لم يكن الأمر يشغل بالي ولكن على سبيل حب

الاستطلاع ذهبت لأراه.

- ماذا رأيت؟

+ رأيت رجلاً عادياً لا يُميّزه شيء في مظهره عن سائر الرِّجال في سنه سوى أنني لمَّا اقتربت إليه ونظر إليَّ، أحسست بإحساس غريب لم أشعر به في حياتي.. عيناه اخترقتا كياني بعُمق أعمق من نفسي.

لم أستطع أن أُركِّز نظري فيه بل أطرقت إلى الأرض.. آه إني عريان أمام عينيه.. قال لي: أنت سمعان بن يونا؟ قُلْت: نعم. قال: أنت تُدعَى بطرس.

كيف هذا؟ إنه يُغيِّر اسمي هكذا في اللحظة الأولى للقائه بي!! وجدت نفسي أسير وراءه. اتبعه ولست أعلم إلى أين أو أين أمكث؟

ثم رأيت رفاقاً آخرين يتبعونه. لم يكن يعتريني أي فكر أو سؤال إلى أين نحن ذاهبون؟! ولكن قلبي غمره سلام وهدوء وفرح عجيب.. تبعناه ثم مكثنا عنده حيث كان يقيم ذلك اليوم.

في اليوم التالي إذ اجتمع جمع كبير حوله عند شاطئ البحيرة التي كُنَّا نصطاد فيها وإذ كانت الجموع تتزاحم حوله كل واحد يريد منه احتياجه ومعظمهم فقراء ومرضى.. وتعالت الأصوات والطلبات وتدافع الناس حوله يزحمونه..

فجأة نظر إلى قارب صغير كان على الشاطئ وركب فيه. كان هذا قارب الصيد الذي لي. ثم أشار بهدوء إليَّ وقال: أبعد القارب قليلاً عن

الشاطئ. ففعلت، وبالتالي لم يكن أحد من الجموع يقدر أن يزحمه. وجلس في القارب.

وفتح فاه بالكلام. لم أسمع في حياتي كلاماً كهذا.. إنه يدخل إلى أعماق نفسي.. الكلام بسيط ولكن حي.. الكلام بأمثال ولكنه يفتح العينين والقلب.

كان الكُل في سكون عجيب كأننا في الهيكل.. في أقدس الأماكن وأقدس الأوقات. ظلَّ يتكلَّم.. الزمن صار بلا حساب.. كم مضى من الوقت لا أحد يعلم. فلمَّا شبع الناس من كلمة الحياة صرف الجمع بعد أن نالوا ما للروح وما للجسد من شفاء الأسقام والراحة من أوجاع وآلام.

صيد السمك

عاد يسوع فنظر إليَّ وقال: أُدخل إلى عمق البحيرة.. لم أناقش ولم أعرف قصده من البداية.. وجدت نفسي خاضعاً لكلمته أنفذها بلا نقاش. قال: ألقُوا شِباككم للصَّيدِ. قلت: يَا مُعلِّمُ، قد تَعِبنَا اللَّيْلَ كُلَّهُ ولمْ نَأخُذ شَيْئاً. ولكنَّني أردفت قائلاً: ولكِنْ علَى كَلِمَتِكَ أُلقِي الشَّبكَةَ.

كانت كلمته قد تخلَّلت أعماقي عندما كان يُعلِّم الجموع.. سُلطان كلمته مَلَكَ زمام حياتي. لقد أحنيت عُنق نفسي لكلامه ومنذ ذلك اليوم وكلماته عندي واجبة الخضوع بلا مناقشة وبلا فحص.

حقاً لقد قضينا الليلة الماضية كأسوأ ما تكون الليالى.. تعب بلا جدوى وشقاء بلا ثمر.. لم نصطد سمكة واحدة.. كانت هذه الليلة مُرّة على النفس، أصابتنا باليأس والإحباط وخيبة الأمل. ولكن هو قال ألقُوا شِباككم. فلمَّا فَعلنا.. انذهلنا.. الشِّبَاك مليئة بالسَّمك.. تكاد تتخرَّق من الكثرة والسفينتان امتلأتا حتى كادتا تغرقان.

ما هذا؟ مَن الذي دعَى الأسماك فأطاعته؟! من أين أتى بها وبهذه الكثرة التي لم نرها مدى الحياة؟!! لقد هزَّني هذا العمل الإعجازي من

أعماقي..

كنت كل حياتي يشغلني السَّمك عن كل شيء.. ويوم أن أمسك شيئاً فوق العادة كنت أفاخر به أصدقائي ويصيبني فرح كثير عندما يرزقني الله ببعض السَّمَك.. كنت أُقدِّم شُكري لله. ولكن ما هذا؟! ما هذ؟!

لم يَشغلَنِي السَّمك الكثير جداً في شيء. بعد أن جذبت الشبكة.. وجدت قوة أعظم تجذبني. كأنَّ نفسي وقعت في شبكة عجيبة.. وهأنذا أنجذب.. أقترب.. وأنحني حتى إلى قدمي يسوع.

وجدت نفسي أقول: "اخرُجْ مِنْ سفِينَتِي يَاربُّ، لأنِّي رَجُلٌ خَاطِئٌ!". اعتراني خوف.. بل صرت في مشاعر مختلطة معاً، إحساس بالخطايا التي اقترفتها مُنذُ حداثتي.. إحساس بجهلي وعدم معرفتي.. إحساس بعدم الاستحقاق.. مَن أنا؟؟

في تلك اللحظات انفتحت عيناي كأعمى صار مُبصِراً.. مَن أنا؟ ومن أين أنا؟ وإلى أين؟ ومَن هذا الذي قالوا لي إنه المسيا؟!

هذه أيام جديدة.. هذه معرفة عجيبة.. شيء عالي أعلى مني وأعمق منِّي.. أنا ضعيف وصغير في كل شيء.

اخْرُجْ عني يارب أنا لا أحتمل.. وأصغر من أن أدرك. أقامني قائلاً: لا تخف.. تصوَّر..!!! دخل السلام قلبي. لقد سمعت أنَّ ملاكاً لمس دانيال فقواه في القديم. بالمثل أحسست بقوة فائقة تنزع خوفي وهواجسي.

"لا تَخَفْ! مِنَ الآنَ تَكُونُ صَيَّادَاً، تَصْطَادُ النَّاسَ!".. من الآن! لقد غيَّر اسمي وغيَّر صنعتي. طبيعتي وعملي.. إنها خلقة جديدة.

يوم أنْ غيَّر اسمي سَرَتْ فيَّ قوة تغيير في داخل كيانى. واليوم يُغيّر طبيعة عملي وصنعتي التي أفهمها. اكتشفت أنني في الصيد أتعب الليل كُلّه ولا آخذ شيئاً. فأنا اعترف أنني لا أفهم في الصيد ولست ماهراً ولا محترفاً.. أنا لا شيء.

الآن يجعلني صياداً أصطاد الناس؟! هل مَن يَفشل في صيد السمك يصير قديراً في صيد الناس؟!

يا سيِّدي .. اعْمَل معي.. كما جذبت إلى شَبَكَتِي السَّمَك الكثير، اجذب الناس إلى شبكة الإنجيل فاصطادهم بروحك لحسابك فأنت مُخلِّص البَشر، وأنت وحدك تجذبهم بحبال المحبة.

فلمَّا جذبنا السفينتيْن إلى الشاطئ.. تركت كل شيء ووجدت نفسي أتبعه بحُرِّيَّة.

لقد قَطَع الرباط الذي كان يربطني بالمال والتجارة ولقمة العيش والهموم وإعالة الأسرة.. هذه العبودية الحتمية سقطت قيودها من نفسي وعقلي.. وجَدْت نفسي حُرَّاً أتبعه وكفى.

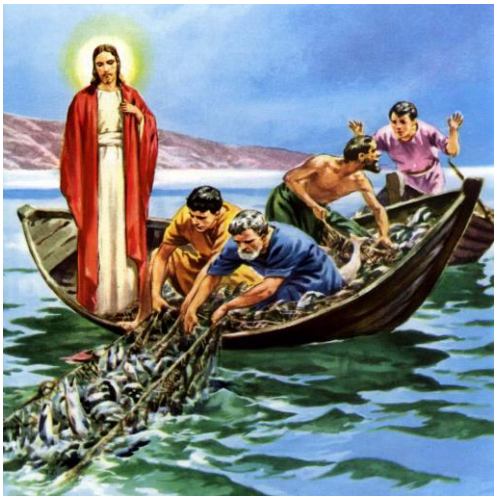

شفاء حماتي

- أنا أعلم يا أبي أن حياتك مع المسيح ومواقفك وما رأيته وما سمعته من الرب شيء صعب وصفه ويستحيل حصره. ولكنِّي أتوسَّل إليك أن تُعلِّمني بعض ما تعلَّمت وتُسلِّمني بعض ما تَسَلَّمت ولو الفتات، على قدر قامتي، يكفيني أقل القليل.

+ لا أنسى اليوم الذي دخل يسوع بيتي.. لا أستطيع أن أصف الفرح الذي شملني. إنَّ يسوع بذاته في بيتي.. نعمة حقيقية.

- قلت.. طوباك يا أبي بالحقيقة.

+ يسوع يا ابني في كل زمان ومكان.. يدخل بيتك بالحقيقة بل يدخل قلبك ويملأه بالفرح.

- ماذا أيضاً يا أبي؟

+ يومها كانت حماتي مطروحة بحُمَّى شديدة.. سألته من أجلها، وكُلِّي ثقة وإيمان. لقد تدرَّجت في معرفته من يوم صيد السَّمك.. أحسست أنه بالحقّ قادر على كُلِّ شيء.

ذهب معي إلى حجرتها.. إنه حقاً وديع ومتواضع القلب.. في بساطة عجيبة وقوة خارقة انتهر الحُمَّى بكلمة.. هل الحُمَّى تسمع وتطيع؟

كُلّنا اندهشنا، لقد تركتها الحُمَّى في الحال، بل قامت صحيحة تخدم

بكل طاقتها.

اعتراني الخوف مرَّة أُخرى ومع كل عمل من أعماله أجد نفسي وقد دخلت في دائرة ما فوق حدود الطبيعة.. شيء ليس من هذا العالم.

أمور ليس لها تفسير عند الناس.

إنها أسراره هو.. الخاصة به.. التي تُعبِّر عن شخصه الإلهي.

اشباع الجموع

أمَّا ما لا يُنسى فهو يوم أن أشبع الخمسة الآلاف من خمس خُبزات الشعير والسمكتين.. هل يستوعب عقل الإنسان ما رأيناه؟! خمسة خُبزات صغيرة.. لا تكفي لإنسان واحد فهل تكفي الآلاف؟! كيف يكون هذا؟

لم نُصدِّق ما رأيناه.. أكبر من عقولنا وقدرة تفكيرنا.. لقد أخذَنا الذهول.. لقد اشتركنا بكُلّ أحاسيسنا في المُعجزة.. لقد حملت بيدي إلى الجموع.. أخذنا من يديه الخُبز المتكاثر.. تصوَّر ما يكفي ليشبع خمسة آلاف رجل والنساء والأطفال الذين يفوق عددهم عدد الرجال بمرَّات.

صار الخُبز يتدفَّق من يديه.. إعجاز ما بعده إعجاز.. الخُبز يفيض فيضاً والناس يأكلون.. لا أنسى منظرهم.. يأكلون في صمت، لقد عقدت المعجزة كلماتهم.

أمر ليس من هذا العالم ولا يرقى إليه فكر الملائكة.. يا للبركة.. يا للبركة. أعظم من أن يحكيها إنسان.. حُفِرَت في ذاكرتنا عميقاً عميقاً جداً.

يومها عشنا في السماء.. بل كل أيامنا مع يسوع كانت هكذا هى أيام السماء على الأرض.. هكذا كل مَن يحيا معه.. وهكذا يشبع كل مَن أخذ كِسرة خبز من يد المسيح.. أكلوا جميعهم وشبعوا. لقد قال له فيلبس قبل أن يصنع المعجزة: "لاَ يَكْفِيهِمْ خُبْزٌ بِمِئَتَيْ دِينَارٍ لِيَأْخُذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ

شَيْئًا يَسِيراً".

ولكن هل يصلح مع المسيح هذا التعبير "شَيْئاً يَسِيراً".. حاشا.. مع المسيح يوجد الشبع والفيض.

لقد تعلَّمنا الدرس جيداً. إنَّ كلمات يسوع: "أَعْطُوهُمْ أَنْتُمْ لِيَأْكُلُوا" حمَّلتنا مسئولية التابعين ليسوع في كل زمان ومكان.. أصبحت مسئوليتنا ولا نستطيع أن نتحلَّل منها وبه صرنا كفقراء ولكننا نُغني كثيرين.

- ثم ماذا بعد المعجزة؟

+ لقد صرف الرب الجمع.. أشبعهم بتعاليمه الإلهية تعاليم العهد الجديد. وأشبعهم من خُبز البركة وصرفهم.

كل مَن كان مُحتاجاً أو مريضاً خرج من حضرة المسيح وهو شبعان معافى.

في الهزيع الرابع

- ثم ماذا يا أبي؟

+ بعد أن صرف الجموع، وهذا أخذ بضع ساعات لأن المائدة أعدها المسيح وكان النهار قد بدأ يميل.. فأكلوا وشبعوا ثم صرفهم.

وكُنَّا نحن الرُّسُل مُنتظرين أن نركب السفينة كُلّنا معه ونعبر البُحَيْرَة. قال لنا يسوع: اركبوا واذهبوا اعبروا. قُلْنا: بل ننتظرك! قال: لا، سأبقى وقتاً على الجبل أُصلِّي. قُلْنا: نبقى معك.. ننتظرك. قال: لا. ثم ألزمنا أن نركب وحدنا.

لم يلزمنا بشيء أو يجبرنا على شيء من يوم عرفناه.. فلماذا الآن يلزمنا أن نذهب بدونه؟ لم نفهم.. ولكننا تعوَّدنا أن نطيع حتى وإن كُنَّا لا نرغب.

ركبنا السفينة.. كان الوقت مساء وذهبنا وكأن الظلمة لفتنا، ليس القارب فقط بل ومَن فيه، إحساس غير مُريح يلفنا.

مضى وقت ليس بقصير، إحساسنا بالوحدة والوحشة يزداد مع كل موجة من البحر تلطم سفينتنا الصغيرة ومع كل تمايل كانت نفوسنا تتأرجح في عدم راحة. ازدادت الأمواج قوةً وعنفاً وازدادت الرياح المُضادة وازدادت نفوسنا اضطراباً.

تُرى ماذا بنا؟ ماذا من المجهول ينتظرنا؟ هل سنغرق ونموت؟ هذا

فكر قاتل يملأ النفس اضطراباً.. هل نُصلّي.. ونطلب؟

أُنتزع الرجاء رويداً رويداً.. فرص نجاتنا تقل.. والظلام أكثر وحشة، كدنا نيأس من النجاة، وأصبح الموت يُلمس باليد.. علا الصياح.. زاد الاضطراب.. دخلت المياه إلى النفس.

ثم صاح أحدنا.. هناك خيال في البحر.. إنه يمشي على المياه، شيء مُخيف زاد من خوفنا خوفاً. فصرخنا وجزعنا.. لعله الموت. ثم إذ اندفعنا كُلّنا ناحية الخيال. سمعناه يتكلَّم ويُشير نحونا.. تجمَّدنا في أماكننا وانعقدت الألسن.. لا حركة ولا كلام. قال.. أنا هو لا تخافوا.. إنه يُخاطبنا..

إنه يسوع.. وصوت يسوع..

هو ماشي على الماء.. كيف يكون هذا ومَن يُصدِّق هذا؟ اندفعت من بين إخوتي الرُّسُل وقُلْت: "يَا سَيِّدُ، إِنْ كُنْتَ أنتَ هو، فَمُرْنِي أَنْ آتِيَ إِلَيْكَ عَلَى الْمَاءِ". أعمل مثلك لأنك قُلْت إننا نكون مثلك.

قال لي: تَعالَ. وحين سمعتها من فمه قفزت بلا حساب وبلا تفكير.. أنا عارف كلمته وعارف قوَّتها وقدرته الإلهية.

قفزت.. يا إلهي.. مَشيت على الماء نحو يسوع. أين العقل أين؟ الماء المحلول أنا ماشي عليه. أعتقد أنني في حُلم.. بل وحتى في الحُلم لا يُمكن المَشي على الماء، لكنني في كامل العقل والصحو.

كان الرُّسُل يراقبونني ولكن في دهشة وصمت.

ثم دار سؤال في فكري في لحظة.. هل هذا معقول؟ وأجاب فكري وقد خضع للشكِّ: لا طبعاً هذا غير معقول! هذا وهم.. هذا غير حقيقي.. انظر الأمواج العاتية.. انظر الريح القاسية.. هبط فكري في الحال ومعه سقطت رجلي في اللُّجَّة.

يا إلهي إنني أغرق.. ارحمني.. سأموت.. صرخت ليسوع.. يارب نجني..

مَدّ يده وأمسكني وأقامني من سقطتي.. من شكِّي. وعاتبني بكلمة حنونة: "يَا قَلِيلَ الإِيمَانِ، لِمَاذَا شَكَكْتَ؟". كيف عُدت إلى المركب لا أذكر، هل مشيت على الماء راجعاً أو حملني هو على الأذرع الأبدية!!

طبعاً قد انطبع في عُمق نفسي صنيع يسوع هذا. إن يده التي أمسك بها يدي فنجَّاني أشعر بقبضتها لا تُفارقني مدى الحياة.. إنها سندي.. وقوَّتي.. لقد سند إيماني لكي لا أخور، بل رجعت معه وأنا في يده سائراً على الماء دون أن أُفكِّر.

كان فكري مُنحصراً فيه.. لم أدرِ (أشعر) بالموج

ولا بالريح رغم وجودهما.. لأن وجوداً أقوى احتواني.

وقس على ذلك جميع التجارب التي جُزتها والرياح المضادة التي واجهتها.. لم أعُدْ أُلاقيها بذاتي، بل بإيماني بالمسيح ويده التي أمسكتني وأعادت إيماني إلى مستوى المشي على الماء.. وهل تُنسَى خبرة فريدة كهذه؟

ويا للعجب! ركب السفينة.. أسكت الموج بكلمة وانتهر الريح.. شيء تندهش له الملائكة، بل هو "مَنْ كَالَ بِكَفِّهِ المِيَاهَ، وقَاسَ السَّمَاوَاتِ بِالشِّبْرِ، وكَالَ بِالكَيْلِ تُرَابَ الأرضِ، وَوَزَنَ الجِبَالَ بِالقَبَّانِ، والآكَامَ بِالمِيزَانِ"، هو نفسه من صَدَّ الريح.

أصابتنا دهشة رهيبة بكل المقاييس وكنا نقول لبعضنا.. مَن هو هذا الذي يأمر الريح والبحر فيطيعانه. وكانت الإجابة تصرخ في داخلنا، هو بالحقِّ ابن الله الآتي إلى العالم.

أنتَ هو المسِيح

- ألاَّ تحكي لي مواقف أخرى، لأنَّ هذه الأمور فعلاً تقوِّى الإيمان وتحبب إلى النفس عشرة المسيا والحياة بقربه بل تؤكد أن الحياة في المسيح هى الحياة وبدونها لا توجد حياة.

+ كنا في رفقة السيد نسير، نشعر بالسلام الذي لا يوصف والفرح الذي لا يُعبَّر عنه كمثل أطفال صغار يحوطهم حنان الأب. هكذا كُنَّا نعيش. وفي يوم من الأيام كُنَّا بالتحديد في بلدة قيصرية فيلُبُّس. التفت إلينا يسوع وسألنا قائلاً.. مَنْ يقُولُ النَّاسُ إِنِّي أَنَا؟

ردَّ إخوتي الرُّسُل كل واحد بحسب معرفته بالناس وبكلام الناس. قال أحدهم: سمعت بعض الناس يقولون إنك إيليا النبي عاد إلى العالم. رُبَّما بسبب ما رأوه فيك من الغيرة على مجد الله. وبسبب الكلام الناري الذي سمعوه منك.

وقال آخر: إنني سمعت البعض يقول بل هو إرميا، ألم تروه باكياً، مُبكِّتاً. بل وقال آخر: على كُلٍّ أنا سمعت كثيراً من الناس يقولون بكل تأكيد إنه واحد من الأنبياء الأوَّلين قد قام وظهر بيننا..

كان يسوع بالصدق في كل الآيات التي صنعها بلا عدد، كان الناس يمتلئون دهشاً وتعجُّباً. وفي مرات يصرخون قائلين: "قد قَامَ فِينَا نَبِيٌّ

عَظِيمٌ، وافتَقَدَ اللهُ شَعبَهُ". وكان رؤساء الكهنة والفريسيون يصادرونه على كُلِّ كلمة ويحاولون بكل جهد أن يشوِّهوا صورته أمام الشعب وإذ كانوا يسمعون الشعب يُعظِّم يسوع، كانوا يقولون: هذا الشعب جاهل ملعون.

كنت أذكر جيداً روح الضلال الذي كان فيهم لمَّا فتَح يسوع عيني المولود أعمى، قالوا له عن يسوع: "هذا الإِنسَانُ لَيسَ مِنَ اللهِ، لأَنَّهُ لا يَحفَظُ السَّبتَ.. بل هو إِنسَانٌ خَاطِئٌ".

على كُلِّ حالٍ استمع يسوع إلى كلام إخوتي التلاميذ وهو ناظر إليهم. ثم أردف قائلاً: "وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟".

وقع السؤال كالصاعقة وصار وجوم ولم يَنطق أحد بكلمة. في تلك اللحظة غشي داخلي نور عجيب لم يكن لي به سابق معرفة واستضاء ذهني بضياء يفوق ضياء الشمس. لقد دخلت دائرة من الاشراق والتَّوهُّج وصارت نفسي تَسْبَح في لُجة من النور الذي لا يُدنى منه. شيء لم أختبره ولم أعرفه في حياتي ووجدت قلبي يفيض بشهادة هي أعلى من فكري وأعلى من معرفتي بما لا يُقاس.

وجدت نفسي أصرخ وأقول: "أنتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيّ!".

قال الرب: "طُوبَى لَكَ يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا، إِنَّ لَحْمًا ودَماً لَمْ يُعلِنْ لَكَ، لكِنَّ أَبِي الذي فِي السَّماواتِ. وأنا أَقُولُ لَكَ أَيْضاً أَنتَ بُطْرُسُ، وعلى هذِهِ الصَّخرَةِ أَبني كنِيستِي، وأَبوَابُ الجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى علَيهَا".

كم تعجبت وصرت في دهشة.. إذاً النور الذي غشى نفسي وأغرقني في لجته التي لا يُعبَّر عنها هو إعلان الآب وشهادة الآب لابنه يسوع المسيح. حتماً هو ذات الصوت الذي سمعناه على جبل التَّجلِّي، بل وذات النور.

إذاً شهادة المسيح لا تأتي من الناس بل من الآب الذي يشهد له. حقاً قال يسوع: "أنا لا أقبلُ شهادَةً مِنْ إِنسانٍ". بل لا يستطيع أحد أن يقُولَ: "يَسُوعُ رَبٌّ إِلاَّ بِالرُّوحِ القُدُسِ".

إذاً ليس فضل للإنسان أن يعرف المسيح معرفة حقيقية أو يشهد له. ولكن الإنسان الذي تُفاض عليه المعرفة بالنعمة يستطيع أن يعرف المسيح.

هى ليست معرفة العقل؟ كلا.. ولا معرفة الكلام؟ كلا.. بل هى اكتشاف وإعلان سماوي.. يسوع يُظهِر ذاته لِمَنْ يحبه. والآب يشهد في القلب بصوته الأزلي "هذا هو ابني حبِيبِي".

علمت يقيناً أن هذا هو الإيمان الذي تُبنى عليه كنيسة يسوع. هو بناها على هذا الإيمان وهى فيه قائمة وأبواب الجحيم لن تقوى عليها كوعده الصادق.

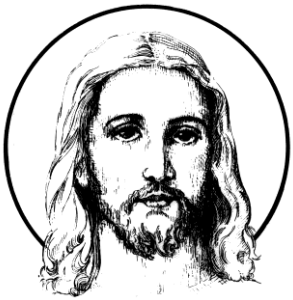

الزحـام الشـديـد

+ إن ظـاهرة الزحـام الشـديد لازمـت حيـاة يسـوع وخدمتـه فـي الجليـل واليهودية، وكُنَّا في مرَّات كثيرة نشفق عليه من الزحام.

ولكن ما حدث ذات يوم - وكان حولنا زحام شديد – ذهب بعقول مَن كـــانوا حولـــه يومهـــا. توقَّـــف يســـوع وقـــال: "مَنِ الذي لَمَسَنِي؟"، وكنت أنا ملاصقاً لـه.. فقلت بتلقائيـة وأنـا لا أعلم ماذا أقول، كنت دائماً سريع الانفعال، أندفع في الكلام، قلت: "يَا مُعَلِّمُ، الجُمُوعُ يُضَيِّقُونَ علَيكَ ويَزحَمُونَكَ، وتَقُولُ: مَنِ الذي لَمَسَنِي؟".. ولكنـه دائماً مُترفِّق ووديع.

فأجابني: "قَدْ لَمَسَنِي وَاحِدٌ، لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّ قُوَّةً قَدْ خَرَجَتْ مِنِّي".

يـا سيِّدي.. مَـن يَشـعر بـالقوة الخارجـة منـك إلاَّ ذاتـك؟ ومَـن تحصَّـل على هذه القوة؟!!

سكت الجميع ومن وسط الزحام اقتربت امرأة جثت أمامه وقالت إنها كانت مريضة بنَزْفِ دَمٍ مُنْذُ اثنتيْ عَشْرَة سنة. وقد وضعت في قلبها أنها إن لَمَسَتْ فقط هُدْب ثوبه تُشفَى.

وقد جاءت مختفية ولمسته بحسب إيمانها وفي لحظتها نالت شفاءً معجزياً يفوق العقل.

قلت في نفسي: يا سيِّدي.. أنت تعلم خفايا القلوب..

يا سيّدي.. أنت مُتحنِّن على الجميع.. يا سيّدي.. كم أنت طيب وصالح ومُعطي الحياة.

وقُلْت في نفسي أيضاً: ما أسهل أن يأخذ الإنسان ويحصل منك على سؤل قلبه. يكفي أن يؤمن بك ويلمس هُدب ثوبك.

إن كُلَّ ما يتصل بالمسيح فيه قوة للشفاء حتى هُدب الثوب.

ثم مَرَّت الأيام حين امتلأنا بالرُّوح وصرنا في المسيح، حتى إن مناديل وعصائب بولس كانت تشفي الأمراض.

بل حتى الظّل إذا وقع على المرضى كانوا يبرأون.

هكذا عمل المسيح فينا وبنا وهو ما يُذهِل العقول.

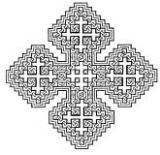

في بيت يايروس

حدث أن ذهبنا في صحبته إلى بيت يايروس الذي كان رئيس مجمع اليهود وكانت ابنته مُشرفة على الموت وهى صبية، ابنة اثنتي عشرة سنة. فلما اقتربنا من البيت كان هناك هرج كبير.. عويل وصراخ.. لقد ماتت البنت قبل أن يجئ يسوع إلى البيت.

كان الرجل معنا في موكب المسيح. وكان قد رأى المرأة النازفة الدم وكيف برئت.. وقد قال له يسوع في مسامعنا: تقوَّ.. ثِق.. لا تخف.. آمن فقط.

لقد سند المسيح إيمانه قبل أن يزعزعه خبر موت ابنته.

فلمَّا واجه الموقف الصعب وجدت يسوع ينظر إليه نظرة لا أنساها.. كلها قوة وحياة. قالوا ليسوع: لقد ماتت البنت.. فما المنفعة بعد؟

قال يسوع: لم تمت الصبية ولكنها نائمة. ضحكوا عليه واستهزأوا بكلامه عالمين أنها ماتت. لم يلتفت يسوع إليهم. أمسك الرب يايروس أبا الصبية وأمها في كلتا يديه ولم يدع أحداً آخر يدخل إلى حجرة الصبية. ثم نظر إليَّ وإلى يعقوب ويوحنا أن ندخل نحن فقط. دخلنا.. الصبية ميتة مضطجعة.

كُنت معروفاً بشجاعتي.. ولكن أمام الموت تذهب شجاعة الإنسان. اهتزَّ جسمي كله لمَّا رأيت الفتاة ميتة.

منظر الموت مُرعب على كل حال. قلت في نفسي.. تُرى ما عساه أن يفعل؟ هل له سلطان أيضاً على الموت؟! ترقَّبنا بصمت رهيب وانحبست أنفاسنا لمَّا اقترب بهدوء إلى سرير الصبية. توقَّعنا أن يركع ويُصلِّي.. أو يرفع يديه نحو السماء.. يتضرع أو يسجد إلى الأرض.

تواردت على خاطري قصص قديمة عن إيليا الذي أقام ميتاً. كيف صلَّى ثم تمدَّد عليه، وهكذا فعل أليشع تلميذه. سمعناها ونحن صغار وما وعيناها.

اقترب يسوع من السرير.. ثم مدَّ يده وأمسك يد الصبية الميتة. ثم فتح فاه وناداها بصوت كأنه آتي من وراء الدهور: "يَا صَبِيَّةُ، لَكِ أَقُولُ: قُومِي!".

كفعل السحر الذي كُنَّا نسمع عنه. فتحت الميتة عينيها وعلت حمرة وجهها المُصفَر وتحرَّك جسدها. كدت أفقد الوعي أو أقع من هول ما أنظر. في دقائق حدث كل هذا.. كأنني خارج هذه الحياة الدنيا.

أمَّا أبو الصبية وأمها فلا وصف لحالهما الذي تبدَّل من فرط الحزن إلى قمة الفرح والشكر بدون تدرج أو فارق زمني. كمثل قطعة حديد مُحماة ألقيتها للتو في حوض ثلج. من النقيض إلى النقيض.

ألقيا بنفسيهما تحت قدمي يسوع يُقبّلان قدميه بحركات شبه هستيرية. ويسوع في هدوئه الإلهي أقامهما وقال: أعطوها لتأكل.

ثم خرج مثل النور ينساب في وسط الزحام.. وكنا نتبعه، لم أجرؤ أن أسأله أو أتكلَّم معه بهذا الخصوص وصار في داخلي شعور يقيني أنه هو قاهر الموت.

إذاً فهو الحياة ذاتها.. هو هو الحياة. وقد تثبَّت فيَّ هذا الشعور اليقيني كُلّما رأيته يقترب من إنسان ميت ليقيمه.. لقد رأيت كثيراً من الموتى الذين أقامهم.

إقامة الشاب ابن الأرملة

ولكن حادثة الشاب ابن الأرملة الذي كان محمولاً إلى القبر هزَّت كياني من كثرة بكاء الناس، فقد كانت جنازة حزينة بحق.

اقترب يسوع ولَمَس النعش فوقف الحاملون في الحال كأنهم تسمَّروا على الأرض.. شيء مُخيف.. لقد كانوا مُندفعين يتدافعون لحمل النعش حسب عادات الناس.. وهم رجال أقوياء تدفعهم الجموع من الخلف وأمامهم باكون وبعضهم يصرخ..

كان موكب الموت كنهر جارف. كيف وقف حاملو النعش في الحال؟ لا أعرف..

ما لا أنساه في ذلك اليوم منظر وجه يسوع وهو ممتلئ من حنان وشفقة لم أرَ مثلهما في حياتي. كان كل الناس يبكون من أجل الأرملة أم الميت. كان منظرها يجلب البكاء.. مسكينة وتجربتها قاسية.. لكن ماذا ينفعها بكاء الناس وشفقة الناس؟ هل ترد إليها خسارتها في فقد ابنها؟

قال يسوع مخاطباً الميت: "أيُّها الشَّابُّ، لَكَ أَقُولُ: قُمْ!". فقام الميت، فدفعه إلى أُمِّهِ.

انظر وتعجب.. إنه يُكلِّم الميت!! وهل يَسمعه مَن في القبور!! نعم استجاب الميت للصوت وجلس للحال في النعش.

اعترى الجميع خوف رهيب.. رهبة الحياة غلبت رهبة الموت. انقلب الوضع وصار هرج كثير في جموع المشيعين.

أصوات الصراخ والحزن تبدَّلت إلى أصوات اختلطت مع بعضها وتزاحم الناس ليروا بين مُصدِّق ومذهول. كل واحد يريد أن يرى بعينيه ويلمس بيديه.. هل هذا معقول!

صرت أشفق على هذا الشاب وقلت في نفسي إن الناس والزحام حوله سيقتله ولكنني راجعت نفسي قائلاً: هذا شاب قائم من الموت للحال بقوة فائقة فلن يضره شيء، دعهم يزحمونه كما يروق لهم.

انصرفنا تابعين يسوع وانفعالات لا توصف كانت تتأجج كالنار في داخلنا وإيماننا به يزداد.

إنه المسيا مُخلِّص عبيده من الموت.

على جبل التَّجلِّي

يا ابني لقد رأيت عظمته بالحقيقة هذا الذي أخذ لنفسه شكل العبيد وعاش بيننا كأبسط إنسان.. هكذا كان شريكاً لنا في كل شيء..

لمَّا تكلَّم معنا عن آلامه وصليبه وما سيأتي عليه من رؤساء كهنة اليهود لم أستطع أن أحتمل. حتى أني في عدم معرفتي أخذته إليَّ وانتهرته وقلت له: حاشاك يارب أن تصلب.

لم أكن أفهم ولم أعرف.. اندفعت وانزلق لساني. لكنه دائماً كما هو.. انتهر الشيطان الذي أغواني حتى أرفض الصليب. ووضع في فكري أن أستعفى المسيح منه.

كان الشيطان يُقاوم وأنا لا أدري. وقد كان في ذهني أن أطلب مجد الله وليس مجد الناس.

كان هو مزمعاً أن يتألَّم ويتمجَّد.. لم يكن الصليب ألماً بل مجداً. لذلك بعد ذلك بأسبوع قادني مع يعقوب ويوحنا إلى رحلة خاصة لكي يداوي جراح نفسي.

كان من عادته أن يصعد إلى الجبل ويُصلِّي لكي نشرب نحن روح الصلاة هذه. وكم سألناه أن يُعلِّمَنا كيف نُصلِّي، وقد علَّمنا كيف نُنادي الآب أباه أباً لنا وأعطانا نعمة البنوة للآب ودالة البنوة لديه.

صعدنا معه على الجبل ظناً منا أنها مَرَّة مثل مرَّات

قبلهـا، لـم يكـن شـيئاً مُتغيّـراً. كـان كـل شـيء علـى مـا هـو عليـه. ونحـن علـى قمـة الجبـل. ثـم ابتـدأت هيئتـه تتغيَّـر مـن مجـد إلـى مجـد ومـن نـور يخطـف البصـر إلـى ومـيض نـور فائق يفيض بإعجاز حتى صار وجهه كالشمس وهى تضئ في قوتها.

يـا إلهـي حتـى ثيابـه صـارت تلمـع كـالثلج عنـدما تقـع عليهـا أشـعة الشمس. وقع علينا انبهار، بل ذهبنا في غيبة من فرط النور والخوف. رعبة رهيبة ورهبة فائقة.

لـم أدر شيئاً ممـا حولي.. ذهـب النـور الوهَّـاج بعقلـي. أحسست أنـي خارج الجسد والعالم بأسره. تمنيت أن نكون هنا في الأبدية وهى بالحق كانت. طلبت أن نمكث هنـاك بـلا نهايـة.. قلت: "يـاربُّ، جَيِّدٌ أنْ نَكونَ هِهُنا!".

وكُنَّا مُنطرحين علـى الأرض لأنـه إن كـان دانيـال رأى رؤيـاه فلم يعد يضبط قوة فكم يكون الحال معنا. إنـه ليس ملاكاً ولا رئيس ملائكة، بل الابن الكلمة النور من النور والساكن في النور الذي لا يُدنى منه.

ثم إنَّ موسى وإيليا ظهرا معه يتحدَّثان عن شيء غريب. أملت أذني لأسمع.. الصـليب، الصـليب، الفداء، خطـة الله، الكـأس الـذي رضـي أن يشربها، خروف الفصح، العبور بالدم، خـلاص الشعب من سطوة فرعون (الشيطان)، فتح باب السماء..

أسرار أسرار.. غبت عن وعيي واكتشفت عدم فهمي وإدراكي.

قلت: "نَصْنَعْ ثَلاَثَ مَظَالَّ: لَلرَبْ، ولِمُوسَى، ولإِيلِيَّا". ويحي لماذا أُكثر الكلام.. جاء صوت من السماء.. لا تساوي ابني بأحد من البشر نبياً كان أو رئيس الأنبياء، بل هو ابني وحيدي حبيبي الذي صنع مسرَّتي وهو في جسد البشرية فصالح البشرية الساقطة وأعادها إلى حضني فيه.

صار الصوت من السماء: "هذَا هُوَ ابْني الحَبِيبُ الذِي بِهِ سُرِرْتُ. لَهُ اسْمَعُوا". ومن رهبة الصوت كُنت مُسبخاً بوجهي إلى الأرض. وبحرص ورهبة رفعت طرف عيني فلم أجد إلاَّ يسوع وحده.

توثق إيماني بلاهوته ذاك الذي كان مخفياً عنا رغم أنه أُعلِنَ لي من الآب حين كان يسوع يسألنا عمَّن يقول الناس عنه مَن هو؟ فقال بعض التلاميذ إن الناس يقولون عنه إنه إيليا أو إرميا أو أحد الأنبياء. فلما سألنا وأنتم مَن تقولون؟ صرخت جهاراً قائلاً: "أنتَ هو المَسِيحُ ابْنُ اللهِ الحَيِّ!". يومها طوَّبني المسيح وعرَّفني أنه ليس بعقلي أو فكري نطقت، بل بإلهام الآب كشاهد لابنه الوحيد. وهذا هو قانون إيماني بحسب خبرتي وحياتي معه يوماً فيوم.

زادت الرؤيا السماوية على جبل التَّجلِّي من ملئي وحُبِّي وخوفي واتضاعي ورسَّخ إيماني بأنَّ الذي أحيا معه في هيئة الإنسان هو هو ابن الآب بالحق والمحبة وأنه من أجل خلاصي أخلَى ذاته من مجده.

ألْقِ صِنَّارَتَك

هذه الحادثة تركت في نفسي أثراً عجيباً حين تقدَّم مِنِّي الذين يأخذون الدرهمين وقالوا لي: "ألا يدفع مُعلِّمُكُم الجزية؟". تعجَّبت في نفسي وقُلْت: لماذا لم يسألوه هو؟. ألعلَّهم اختشوا منه؟ وأنا بدوري تحرَّجت هل أسأل يسوع؟ ولكنه بادر بالحديث إليّ بعد أن دخلنا البيت.

قال لي: "مَاذَا تَظُنُّ يَا سِمْعَانُ؟ مِمَّنْ يَأْخُذُ مُلُوكُ الأَرْضِ الْجِبَايَةَ أَوِ الْجِزْيَةَ، أَمِنْ بَنِيهِمْ أَمْ مِنَ الأَجَانِبِ؟" قلت: يا سيد مِنَ الأَجَانِبِ بالطبع.

قَالَ لي: فَإِذًا البَنُونَ أَحْرَارٌ من الجباية وليس من حق المستعمر أن يأخذ من المواطن شيئاً. قلت: نعم يا سيِّدي.

قال: ولكِنْ لِئَلاَّ نُعثِر أحداً، دعنا ندفع. قُلْت: يا سيِّدي، ليس من حقهم.

قال: نعم ولكن أنا لي منهج وروح مختلف. قلت: يا سيِّد، هذا لا يفهمه الناس العاديون.

قال: ولكن هأنذا أخلق شيئاً جديداً بروح جديد، أنا سأرسلك لكي تصطاد الناس ألا تذكر؟.. تجذب الناس من الظُّلمة إلى الملكوت وتدخل بكل أحد إلى ملكوتي. لا لتُعْثِر الناس، بل تأخذ بيد الناس وتُشجِّع صغار النفوس وتُشدِّد الأيدي المُرتخية والرُّكَب المُخلَّعة.. ومَن سألك

تُعطيه، ومَن طلب منك لا تردَّه، وحتى مَن سخَّرك ميلاً تسير معه اثنين.

هذا هو روحي الذي أجعله فيك.

قُلْت: وما العمل إذاً يا سيِّدي، وليس معنا دراهم.

قال: "اذْهَبْ إِلى البَحرِ وَأَلْقِ صِنَّارَةً، والسَّمَكَةُ التِي تَطلُعُ أَوَّلاً خُذْهَا، ومَتَى فَتَحْتَ فَاهَا تَجِدْ إِسْتَارًا، فَخُذْهُ وأَعْطِهِمْ عَنِّي وعَنْكَ".

لم أملك نفسي من التأثُّر.. ما هذا المنهج الغريب والسلوك المملوء حكمة ليست من هذا العالم. من هذا السلامي الذي لا ينازع.. حقاً إنه ملك السلام ورئيس السلام.

فعلت كما أمر.. ذهبت وألقيت صنارتي وطلعت السمكة التي هيَّأها هو ووضع في فمها النقود المطلوبة كخالق الكل وصانع العجائب.

لم استغرب هذا فقد كانت العجائب هى الحياة اليومية التي أعايشها في حياتي بقربه كل يوم، بل وفي كل ساعة.

كم مَرَّة يُخطئ إليَّ أخي

العجب الذي أذكره الآن أنه ما من مرة سألت الرب عن شيء أو تكلمت إليه في أمر ما، إلا ويجيب الرب على التساؤل بطريقة فائقة للإدراك ينير فيها الطريق ويعلِّم من خلالها أسرار ملكوت الله لأولئك المدعوين والمختارين بحسب علم الله السابق.

أذكر مرة أن الرب كان يعلِّم بخصوص محبة الإخوة وصنع السلام وقد أوصى وصايا غالية وثمينة تليق فعلاً بأولاد الله. قال الرب: "وإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ أَخُوكَ فَاذْهَبْ وعَاتِبْهُ بَيْنَكَ وبَيْنَهُ وحْدَكُمَا. إِنْ سَمِعَ مِنْكَ فَقَدْ رَبِحْتَ أَخَاكَ".

فعلمنا أن الموضوع أصلاً يختص بمكسب الأخ، كيف تربحه ولا تخسر نفسه الغالية لأن أمور هذا العالم الزائل تزول بزواله. فلماذا أخسر أخي من أجل أمور بالية.

فإن أخطأ هو أذهب أنا إليه.. وهذا أسلوب جديد زرعه المسيح في طبيعتنا الجديدة.

إذاً منهج المسيح أن يبذل كل واحد نفسه ليربح الآخر. فوجدت نفسي أسأل الرب قائلاً: "يَارَبُّ، كَمْ مَرَّةً يُخْطِئُ إِلَيَّ أَخِي وأَنَا أَغْفِرُ لَهُ؟ هلْ إلى سَبْعِ مَرَّاتٍ؟". سؤال قد يبدو ساذجاً بالحق.

ولكنني فوجئت بأن جاوبني المسيح بكلمات فاقت العقل والتصديق: " لا أَقُولُ لَكَ إِلى سَبْعِ مَرَّاتٍ، بلْ إلى سَبْعِينَ مَرَّةً سَبْعَ مَرَّاتٍ ". قلت في نفسي: مَن يستطيع أن يفعل هكذا؟

إن الوصايا القديمة كانت عين بعين وسن بسن، ولكن لمَّا شرح المسيح بمثل ما قاله، فإنه فتح ذهننا أنه هكذا يمكن لأولاد الله بالنعمة أن يحفظوا وصية يسوع ونيره الخفيف.

قال الرب مَثَل العبد الذي كان مديوناً لسيده بدَيْنٍ رهيب حوالي ٢١ مليون دينار مثلاً، ثم إذ لم يكن له واستعطف سيده سامحه بالكل. ثم إذ وجد عبداً زميله مديوناً له بدينار واحد طالبه به وإذ لم يكن له ما يسدد به واستعطفه لم يقبل وعامله بخشونة وأسلمه للشرطي، فلمَّا سمع السيد ما فعله العبد غير الرحيم.. راجعه وقال له: "كُلُّ ذلِكَ الدَّيْنِ تَرَكْتُهُ لَكَ لأَنَّكَ طَلَبْتَ إِلَيَّ. أَفَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّكَ أَنْتَ أَيْضًا تَرْحَمُ الْعَبْدَ رَفِيقَكَ " لأنه استرحمك.

إذاً ليس رحمة في الدينونة لِمَن لم يستعمل الرحمة.

فغفراني لأخي يأتي من واقع ما غفر المسيح لي. وإن كانت ديوني الرهيبة قد سامحني المسيح بها وأنا مُتمتِّع بالغفران. وإن كان قد محا صك الدَّيْن الذي كان عليَّ مجاناً. فكيف إذاً لا أرحم أخي؟

قد غفر المسيح الكثير لي، فأنا أغفر لكل مَن أساء إليَّ، كرامة للذي سامحني.

بذات الكيل الذي أكيِّل به لأخي يكيِّل لي الرب.

فإن كنت إنسان رحمة وغفران وحب مقدَّم للكل فإنه يكيِّل لي بذات الكيل.

فأنا رابح في كل الأحوال إن عشت بهذا القانون الإلهي.

انظر كيف أخرج يسوع من مجرد سؤالي الساذج تعليمه المحيي وكيف انكشفت عيناي لأعرف روح المسيح، روح الغفران سبعين مرة سبع مرات.

فكل من ذاق المسيح صار هذا القانون محبوباً لقلبه جداً.

ما أعجب كلامه وما أسمى تعاليمه.. ترى من يستطيع أن يدركها إلاَّ من كان له روح المسيح.

قد تركنا كل شيء

كنا يوماً على مشارف حدود اليهودية، ثم خرجنا من هناك وفيما نحن خارجون إلى الطريق ونحن نتبع يسوع.. إذا شاب جاء نحونا راكضاً مسرعاً تقدَّم جاثياً على ركبته كعابد وخاشع، ثم رفع رأسه نحو يسوع وقال في أدب جم: "أَيُّهَا الْمُعلِّمُ الصَّالِحُ، أَيَّ صَلاَحٍ أَعْمَلُ لِتَكُونَ لِيَ الحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ؟".

قال له يسوع في شفقة واستفسار: "لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟" وكأنه يقول له: هل تعرفني؟ لم يقل له: لا تدعوني صالحاً، بل لماذا تدعوني وأنت تعرف أن الله هو الصالح وحده. وبادره يسوع قائلاً: "أَنْتَ تَعْرِفُ الْوَصَايَا لاَ تَزْنِ. لاَ تَقْتُلْ. لاَ تَسْرِقْ. لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ. لاَ تَسْلُبْ. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ". فَأَجَابَ الشاب وَقَالَ للرب.. "هذِهِ كُلُّهَا حَفِظْتُهَا مُنْذُ حَدَاثَتِي". فَنَظَرَ إِلَيْهِ يَسُوعُ بحب عجيب وَقَالَ للشاب.. "يُعْوِزُكَ شَيْءٌ وَاحِد لكي تكون كاملاً اِذْهَبْ بِعْ كُلَّ مَا لَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ في السَّماءِ، وتَعَالَ اتْبَعْنِي".

يومها تعجبنا مما قال يسوع.. أولاً أن يسوع لم يقل له الوصايا حسب ترتيبها كما هي مكتوبة في الناموس.. فأولها: تحب الرب إلهك.

ولكن يبدو إنه كان يشجعه أنه فعلا حفظ الوصايا التي قالها يسوع. وكان يلزمه أن يرجع إلى الوصية الأولى فهى التي تعوزه. فيسوع يطلب القلب المحب أولاً وقبل كل شيء، فإن ملك حب الله في القلب فهذا هو كمال الأمر كله.

مضى الشاب وبدت عليه علامات الحزن فقد عَلِمنا أنه كان غنياً جداً ولم يرد أن يترك ثروته. وقد علَّمَنا الرب تعليماً مركزاً بخصوص المتكلين على الأموال من الأغنياء كيف أنه يعسر عليهم أن يدخلوا الملكوت.. فجزعنا جداً وسألناه: "فَمَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْلُصَ؟ فَقَالَ عِنْدَ النَّاسِ غَيْرُ مُسْتَطَاعٍ، وَلكِنْ لَيْسَ عِنْدَ اللهِ، لأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ عِنْدَ اللهِ".

ففهمنا أن أمر خلاصنا هو بيد القدير.. هو مخلصنا ولسنا نحن.. فإنه "إِنْ لَمْ يَبْنِ هو الْبَيْتَ، فَبَاطِلاً يَتْعَبُ الْبَنَّاؤُونَ". ثم وجدت نفسي أقول للرب في سذاجتي المعهودة: "هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ". تصور إنني كلما تذكرت ذلك أخجل من نفسي. وأقول: ويحي كيف قلت هذا الكلام لأن الواقع أننا لم نترك شيئاً يُذكر.. هل كنا أصحاب ثروات أو أملاك؟ كان كل ما أملك قارباً صغيراً وشبكة الصيد، أشياء لا تذكر.

إنني الآن أقول: يا سيدي لم أترك شيئاً من أجلك.. بل أنت تركت السموات وأخليت ذاتك من مجدك بل واحتملت عني العار حتى موت

الصليب.

ولكن الشيء العجيب أن الرب أجابني: "الحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَيسَ أَحَدٌ تَركَ بَيتًا أو إِخوَةً أو أَخَوَاتٍ أو أَبًا أو أُمًّا أوِ امْرَأَةً أو أَولاَدًا أو حُقُولاً، لأَجْلِي ولأَجلِ الإنجِيلِ، إلاَّ وَيَأخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ الآنَ فِي هذا الزَّمَانِ، بُيُوتًا وإِخْوَةً وأَخَوَاتٍ وأُمَّهَاتٍ وأَوْلاَدًا وحُقُولاً، مَعَ اضْطِهَادَاتٍ، وفِي الدَّهْرِ الآتِي الحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ".

يا إلهي.. لم يخطر على بالي هذا الكلام.. بالحقيقة علمت أن المسيح هو السخي في العطاء والكريم في التوزيع، بل أن مكافأة الأعمال لا تخطر على بال إنسان.. يا سيدي.. مئة ضعف!! لقد فهمت هذا الكلام فيما بعد، بعد ما حل الروح القدس علينا وأُستعلنا رسلاً للمسيح وصرنا في كرامة لم نحلم بها. صارت كل بيوت المؤمنين بيوتنا وكل مالهم كأنه لنا. وبدل الأخ الذي تركناه صار لنا مئات الإخوة وآلاف الأولاد. وكانوا يبيعون البيوت والحقول ويضعونها تحت أقدامنا.

ولكن كلام المسيح عميق ودقيق فلم يقل لنا أن يصير لنا مئة أب ولا مئة زوجة، فمن جهة الأولاد والإخوة والأخوات والأمهات صار لنا كحسب قول الرب، فكل الشبان أولادنا وبناتنا وكل الرجال والنساء إخوتنا وأخواتنا بكل طهارة وكل الكبار صرنَ لنا أمهات.

أما أبونا فهو واحد.. لأن كل الشعب كانوا يدعوننا آباء، فالرسل آباء ولهم أب واحد. ولكن ما هو أهم وقد شغل بالنا بالحق أن الأجر الحقيقي

هو الحياة الأبدية. لذلك لم تشغلنا أجرة على الأرض مهما كانت لأن نظرنا ظل مثبتاً في السماويات.

إقامة لعازر الميت

ولكن فاق كل حدود العقل ما فعله مع لعازر الميت شقيق مريم ومرثا. وقد كان هؤلاء بالنسبة لنا كخاصة.. لقد تعودنا أن نمكث عندهم في صحبة يسوع. وسمعنا في بيتهم من فمه أعز التعاليم وأغلى الوصايا. معهم تمتعنا بأوقات سماوية بعيداً عن الزحام الذي عانينا منه كثيراً.

فلما سمعنا عن لعازر حبيبنا أنه قد مات، دخل الحزن قلوبنا وتأسفنا أننا كنا بعيداً، وتمنينا لو أننا كُنا هناك في مرضه فكان يسوع يشفيه. ولكن هذا حال الدنيا!!

ولما سمع يسوع أنه مات مكث في الموضع الذي كان فيه يومين.. يا إلهي لماذا تأخر؟ ولماذا لم يقم لساعته ويذهب إلى بيت عنيا؟ فإن لم يُقِم لعازر فعلى الأقل يقف بجوار مريم ومرثا ليعزيهما. لم نسأل لماذا؟ ولم يجرؤ أحد أن يقول هل نسيت؟

ثم بعد اليومين قال: لنذهب إلى اليهودية.. تبعناه.. فلما جئنا إلى بيت عنيا كان اليوم الرابع لموت لعازر.

كان قلبنا يخفق ونحن نقترب من المنزل وذكريات السنين والأيام تتوارد على خواطرنا ومنظر لعازر الحبيب اللطيف وحبه وإتضاعه وكلماته الحلوة ترن في أسماعنا. بدا كل واحد منا متجهماً حزيناً.. ولكني نظرت إلى يسوع.. تُرى ماذا يدور في فكره.. لا أحد يعرف..

تـذكرت ابنـة يـايروس والشـاب الميـت.. والأمـوات الكثيـرين الـذين أقـــامهم. قلـــت فـــي نفســـى.. ولكـــن هـــذا هـــو اليوم الرابـع.. فهل فـات الأوان؟ كـان شـعوري الـداخلي تتجاذبـه حقيقـة مارأيت مدى ثلاث سنوات كاملات ومن جهة أخرى أن أربعة أيام مضت على موت لعازر، شيء كثير.

خبر وصولنا مع يسوع سَرى في القرية بسرعة البرق وما هى إلا لحظات حتى أتت مرثا تجري نحو يسوع باكية بكاء ينفذ إلى أعماق النفس بأسى وحزن.. وبدالة خرَّت عند قدميَّ يسوع بحق الحب الذي خصـهم يسوع بـه كبيت راحتـه. كانت دموعها تجري كـالنهر وكلماتها تتكرر وتدور حول عبارة واحدة تحمل ثقة في شخص يسوع "يَا سَيِّدُ، لو كُنْتَ ههُنَا لَمْ يَمُتْ أَخِي!".

ثبات يسوع كان رهيباً، بوجهه المشرق الذي لا يعرف الكدر وملامحه السلامية التي لا تهتز لمواقف.. مد يده أقام مرثا من التراب.

وقال لها بصوته الحنون: "سَيَقُومُ أَخُوكِ". انذهلنا لما سمعنا القول!! كيف.. إنه أربعة أيام.. قالت مرثا وهى تعتصر ألماً وتسكب دمعها السخين: "أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَقُومُ فِي الْقِيَامَةِ، فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ".. استكثرت ما قاله يسوع أن يحدث. إنه المستحيل.. هل يقوم من سَكن القبر أربعة أيام وتهرأت أوصاله وجسده كله قد أنتن؟! أخذت كلام يسوع ككلام الناس الذي يُصبِّر أهل الميت، كلنا مائتون وفي يوم القيامة سنقوم.

لـم يكـن هـذا قصـد المسـيح.. فهـو الحـق ذاتـه وكلامـه لا يحتمل التأويل. قال: "سَيَقُومُ أَخُوكِ" وهو يعلم ما هو صانع وما هو متكلم به، إنه الحق كل الحق.

قال يسوع لمرثا: "أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ".. أحسسنا أن هذه الكلمة سرت فينا كقوة حياة.. لا يستطيع بشر أن يقول: أنا هو القيامة. قالها ليس كلام شفتين ولكن أشار إلى ذاته قائلاً لها: "إِنْ آمَنْتِ تَرَيْنَ مَجْدَ اللهِ".

ثم فاجأها بالسؤال: "أَتُؤْمِنِينَ بِهذَا؟" قالت وهى مرتجفة وساجدة: " نَعَمْ يَا سَيِّدُ. أَنَا قَدْ آمَنْتُ أَنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، الآتِي إِلَى الْعَالَمِ". كان المسيح قد أعادها إلى ثقة الإيمان.. والإيمان بالمسيح هو صانع المعجزات.

ذهبت مرثا مسرعة ونحن لم نزل واقفين. ثم بعد فترة وجيزة لمحنا مريم الأخت الهادئة تلميذة قدمي يسوع ومُحِبَّة لكلامه المحيي، هذه التي اختارت النصيب الصالح.

جاءت في وداعتها المعهودة ووقارها.. سجدت وهى صامتة.. الدموع تجري على خديها ولا تصدر صوتاً.. صامتة مُحِبَّة للصمت حتى في حزنها. كررت في مسامع الرب كلمات اختها بالتمام: "يَا سَيِّدُ، لَوْ كُنْتَ هُهُنَا لَمْ يَمُتْ أَخِي!". تحركت أحشاء يسوع عند رؤية محبيه في محنة الموت.. لم أره في حياتي التي عشتها معه هكذا.. قال بصوت حنون: " أَيْنَ وَضَعْتُمُوهُ؟".. قادوه إلي حيث كان القبر.

التَفتُّ إليه وهالني منظره بالحق.. الدموع تترقرق في عينيه.. منظر مذهل حقاً.. يا إلهي نفسي ذابت عندما تطلعت إلي عينيه الدامعتين.. تهامس اليهود حولنا يقولون: "انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ يُحِبُّهُ!".. إنها دموع الحب الذي لم يعرفه بشر من قبل. ثم همست إحدى المعزيات في أُذن الأخرى قائلة: "أَلَمْ يَقْدِرْ هذَا الَّذِي فَتَحَ عَيْنَيِ الأَعْمَى أَنْ يَجْعَلَ هذَا أَيْضًا لاَ يَمُوتُ؟". فردت عليها الأخرى قائلة.. لقد سمعت أنه أقام أمواتاً ولكن هذا له أربعة أيام.

وصلنا إلى القبر لأنه لم يكن بعيداً.. مئات الأمتار خارج القرية. منظر القبر هو نهاية المطاف.. النهاية المحتومة على كل بشر. عندها تسكن حركة الإنسان، بل ووجود الإنسان كلية.

وقف يسوع تجاه القبر.. كنا نتطلع إليه وعيوننا متعلقة به شاخصة إليه.. نسينا الموت وغاب عن نظري منظر القبر.. وقفة يسوع أمامه سحبت قلوبنا وأبصارنا. لا أحد منا يفهم أو يتوقع ما يحدث.. أفكاره بعيدة عن فكرنا وطرقه أعلى من السماء. نظر إلينا نحن الرسل.. كنا الرجال الوحيدين والبقية نسوة أتين لمريم ومرثا.. قال لنا: "ارْفَعُوا الْحَجَرَ!". تحركنا بدون تفكير ولا سؤال ولا معارضة ولا استفسار.. الحجر ضخم.. ولكن نحن رجال.. تقدمنا ندحرج الحجر.. كانت قوة عظيمة تسندنا. وما أن دحرجنا الحجر حتى غشى الجو رائحة نتن رهيبة منبعثة من القبر..

آه نَتَنْ الإنسان لا يُطاق.. تأفف الجميع وشاحوا بوجوههم وكثيرون لم يطيقوا شدة الرائحة الكريهة ابتعدوا قليلاً وآخرون وضعوا أيديهم على أنوفهم على أن بعضاً منهم تحرجوا أن يفعلوا شيئاً تسمروا في أماكنهم.

ولكن فكر الجميع كان لماذا كل هذا؟ ولكن لم يتكلم أحد. فقط مرثا كانت تقول: "يَا سَيِّدُ، قَدْ أَنْتَنَ".. يا سيدي فات الأوان.. وتأخرت علينا.. ودموعها تغلبها.

ولكن يسوع كرر لها عبارته الخالدة.. ألم أقل لك "إِنْ آمَنْتِ تَرَيْنَ مَجْدَ اللَّه".

لمَّا دحرجنا الحجر.. وصار القبر مفتوحاً. تقدم يسوع ورفع يديه وعينيه نحو السماء يخاطب الآب على مرأى ومسمع منا: يا إلهي.. إن كلماته حُفرت داخل قلبي لا تفارق مسمعي، ظلت ترن في أذني مدى حياتي.. "وَلكِنْ لأَجْلِ هذَا الْجَمْعِ الْوَاقِفِ قُلْتُ، لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي".

كل من كان يفكر في الموت ولعازر والقبر لم يعِ هذا الكلام وكأنه لم يسمع.

إذاً كل هذا كان لنؤمن به.. ثم على غير توقع منا صرخ بصوت عظيم: "لِعَازَرُ، هَلُمَّ خَارِجًا!".. لم نسمعه مطلقاً يرفع صوته!! فهو وديع جداً ومتواضع جداً.. ماذا حدث إذاً؟

لقد كان في مواجهة أكبر عدو للإنسان.. الموت. فلما صرخ بهذا

الصوت العظيم تزلزلت أساسات الموت.. ارتعنا أيما ارتياع.. أجسادنا اهتزت وارتعشت والبعض وقع على الأرض. خرج الميت مربوطاً بالأكفان وملفوفاً بها. خرج كما هو ميتاً مربوطاً.

قال يسوع لنا: « حُلُّوهُ وَدَعُوهُ يَذْهَبْ ». اقتربنا نحل الرباطات.. قام لعازر. لم نصدق أعيننا.. انتهت كل ملامح الموت في لحظة. ذهب النَتَن، دبت الحياة، قام لعازر في ملء قوته. شيء مفرح يذهب بالقلب إلى السماء.

أصاب الناس شيء من الفرح الطاغي والذهول.. لا أستطيع أن أصف مشاعر الناس، بل وإيمان الناس..

من لا يؤمن بابن الله الذي يقيم الموتى من القبور يحرم نفسه بنفسه من الحياة.

آمنا أن المسيح هو القيامة والحياة.. آمنا أنه يقيم الموتى ويحييهم بسلطانه الإلهي..

آمنا أن من آمن به ولو مات فسيحيا.

الأسبوع الأخير

بعد إقامة لعازر.. في المساء في بيت عنيا كانت أمسية فرح واحتفال بالقيامة.. القرية كلها في بيت واحد، الفرح يَعُمُّ جميع الناس من مؤمنين ومتفرجين. كان خبر إقامة لعازر قد ملأ الدنيا.. وكان يجلس في حضن يسوع لعازر وهو ممتلئ فرحاً وشكراً للذي أقامه.. وكبرهان حي بقدرة المسيح واهب الحياة.

أخذت مريم أخت لعازر قارورة طيب فائق كثير الثمن وسكبته على الرب يسوع فامتلأ البيت من رائحة المسيح الذي جعل للطيب رائحة فائقة.. لا أنسى هذه الليلة مدى حياتي ولا كل دقيقة مرت عليَّ.

ثم في الصباح خرج من المنزل وسألناه إلى أين نحن ذاهبون؟. قال: إلى أورشليم. عيد الفصح كان بعد أيام وأورشليم مكتظة بالمعيّدين الذين جاءوا من كل بلاد الدنيا ليعملوا الفصح.

لم يتكلم أحد منا معلقاً، بل تبعناه إلى حيث يمضي. ولما اقتربنا من أورشليم أرسل اثنين منا إلى القرية القريبة فاستحضرا أتاناً وجحشاً حلاَّهما وأتيا بهما ولم يعترضهما أحد. فجلس على الجحش وتحرك الموكب نحو أورشليم.

لأول مرة أراه ممتطياً حماراً صغيراً. لقد ذهبنا إلى أورشليم مراراً وعلَّم في الهيكل مراراً، لماذا إذاً يدخل إلى أورشليم راكباً؟ لم نفهم ولم نسأل..

اقتربنا إلى المدينة وكنا على التل المطل على المدينة.

كانت المدينة أمامنا بهيكلها ومبانيها.. وفجأة وجدناه يكلمها.. يكلم المدينة.. شيء غريب، يقول: "يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ! يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ المُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، ولمْ تُرِيدُوا!".

كانت دموعه غزيرة يبكي عليها. وأدركنا كم أحب أورشليم، إنها مدينته، مدينة السلام. مدينة الملك العظيم التي فيها بيت أبيه.. بيت الصلاة. لكنه أعلن رفضها له وعدم إرادتها أن تستظل بجناحيه، رفضت مشورته.. رفضته كمخلص وكملك.. رفضته فبكى عليها لأن خسارتها فادحة..

كانت أورشليم تسير كعمياء إلى مصير هلاك محتوم.. قال لها: "قَدْ أُخْفِيَ عَنْ عَيْنَيكِ".

هى قاتلة الأنبياء والمرسلين، بل صارت قاتلة لرب الأنبياء وإله المرسلين إليها..

تذكرنا المثل الذي قاله عن الكرامين الأردياء الذين أهانوا المرسلين الذين أرسلهم صاحب الكرم، ثم قتلوا ابنه لكي يصير الكرم لهم، وأعلمهم بمصيرهم المحتوم أن صاحب الكرم يأتي ويُهلك أولئك القتلة ويُعطي الكرم لآخرين. وقد فهم رؤساء الكهنة أنه قال هذا

المثل عليهم. أدركنا أن كل هذا وشيك أن يحدث وأن صعودنا إلى أورشليم هو الخطوة الأولي لتنفيذ المقاصد الإلهية.

ما أن وصلنا إلى بوابة سور أورشليم وكان يوم الأحد حتى سرى روح فرح عجيب فينا كأن ناراً إلهية تأججت في أحشاء كل منا.. روح ملأنا بتسبيح وتمجيد وحمد. انطلقنا نعبّر عن هذا الفرح بطرق تلقائية.. فهمت فيما بعد أن كل هذا مدبر من الآب قبل الدهور.

بعض منا خلع ثيابه كأنه يتخلى عن الخارج البالي وفرشوا ثيابهم في طريق يسوع. وآخرون قطعوا سعف النخل بخفة وحركات روحية كأنهم ملائكة لا تعوقهم الأرضيات. وآخرون قطعوا أغصان الزيتون.

وما هى إلا دقائق حتى صار هذا الموكب ضخماً رهيباً. تجمع حولنا جمع غفير مئات ثم آلاف.. رجال ونساء وأطفال بلا عدد. ويا للدهشة كلهم صاروا يسبحون ويمجدون هذا الجالس فوق الجحش قدموا له تسبيحات الجالس فوق الشاروبيم. صرت في ذهول أقول في نفسي من علَّم هؤلاء؟! من وضع في أفواههم هذا التسبيح كأنهم تلقنوه من معلم واحد في فصل واحد؟ وهم لا أعلم من أين أتوا ومن دعاهم إلى الموكب؟!

شيء سري عجيب لا يعرف عمقه إلا روح الله. حتى الأطفال كانوا يصرخون.. "أُوصَنَّا لابْنِ دَاوُدَ! مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! أُوصَنَّا فِي الأَعَالِي! مُبَارَكَةٌ مَملَكَةُ أَبِينَا دَاوُدَ! أُوصَنَّا مَلِكُ إِسْرَائِيلَ!"..

بالحق أُستعلن ملكوت المسيح، ملك الملوك ورب الأرباب. ملكوت السلام والفرح.. ملكوت الحب والتسبيح. وكان الجمع يشهد أنه دعا لعازر من الموت.

إذاً الملكوت ملكوت القيامة وغلبة الموت والانتصار عليه.

وابتدأ جميع الرسل يتذكرون تفاصيل السنوات الثلاث التي قضيناها معه الآيات والعجائب. شيء مهول لا يمكن أن يقع تحت حصر.. ولكن الروح ذكّرنا بكل شيء فصرنا نلهج بالحمد والتمجيد للذي سكب هذه النعمة على البشرية المعذبة وصرنا نشعر بخلاص الله واستعلان ملكوته.

دخل يسوع، كملك منتصراً على الموت، إلى قلب أورشليم إلى الهيكل مباشرة. صادره رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيون وهم في قمة الاستياء مما رأوا وسمعوا وقالوا: "أَتَسْمَعُ مَا يَقُولُ هؤُلاَءِ؟" لماذا لا تسكتهم؟

فتح لهم يسوع النبوات التي رأوا كمالها ولكنهم أغمضوا عيونهم بعناد وسدوا آذانهم بعمل الشيطان.. "فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: نَعَمْ أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ: مِنْ أَفْوَاهِ الأَطْفَالِ وَالرُّضَّعِ هَيَّأْتَ تَسْبِيحًا؟ فرأوا ولكن ما فهموا!. قَالَ لَهُمْ.. إِنْ سَكَتَ هؤُلاَءِ فَالْحِجَارَةُ تَصْرُخُ!".

يا إلهي.. حجارة الهيكل المادي ستنقض ولا يُترك حجر على حجر. أما الحجارة الحية الجديدة في الهيكل الجديد ستمجد وتسبح وتُبنى في

السماء.

وبسلطان إلهي قَلَبَ موائد الصيارفة.. كيف يكون المال بكل ظلمه وظلامه في الهيكل؟ هم لصوص وجعلوا الهيكل مغارة يمارسون فيه أعمال الشر.

إنه بيت الصلاة وليس بيت المال. وصنع سوطاً من حبال طرد به الحيوانات. وقد فهمت فيما بعد أنه أراد أن يعلن إنه قد انتهى عصر الذبائح الحيوانية التي لا تُقدِّس الإنسان ولا تُكفِّر عن الخطايا.. لأنه كان مزمعاً أن يقدم نفسه كحمل بلا عيب عن حياة العالم.

أما كراسي باعة الحمام، فلم يقلبها كدراهم الصيارفة ولكنه قال لأصحابها.. ارفعوا هذه من هنا.. فالحمام طير ضعيف ترفَّق به لأنه رمز للوداعة التي هى طبعه الخاص ورمز للروح القدس الوديع الهادئ.

ما أرهب هذا اليوم وما أعظم أسراره.. بعد الأيام والسنين صرت أذكر وأجتَّر من كنوزه وأكلم الذين بشَّرتهم بما صنع الرب فيه.. إنه يوم الملكوت.

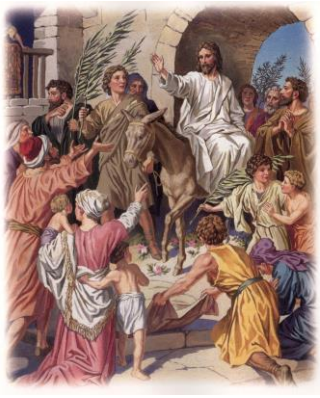

شجرة التِّين

رجعنا إلى بيت عنيا وأمضينا الليل هناك، وفي يوم الاثنين في الصباح الباكر قام فنهضنا وتبعناه. عاد إلى أورشليم إلى الهيكل.

وفي الطريق قال: أنا جوعان.. أصابتنا دهشة عجيبة. كيف أن هذا الذي صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة يجوع في الصباح الباكر؟ هل هذا معقول؟! سكتنا لأننا نعرف أن كل كلمة وكل فعل يحمل من المعاني ما يعسر على عقل البشر استيعابه.

أشار إلى شجرة تين مورِقة وتوجه إليها على الفور، ثم قلَّب أغصانها لكي يرى هل فيها ثمر فلم يجد. كنا واقفين حوله. إنه ليس أوان الثمر، وهذه التينة وجدها مملوءة من الورق. مظهرها يُنبئ بوجود ثمر ولكن الحقيقة غير ذلك. كنا ننظر معه نفتش عن ثمرة فلم نجد.

أخيراً خرجت من فمه كلمة لم نسمعها مدى حياتنا معه.. لعن التينة. وقال لها: "لاَ يَأْكُلْ أَحَدٌ مِنْكِ ثَمَرًا بَعْدُ إِلَى الأَبَدِ!" مشينا خلفه ونحن

متعجبين تُرى ما هو أمر هذه التينة؟

وفي صباح اليوم التالي مررنا بها فوجدتها كحطبة محروقة ناشفة يابسة تماماً. لقد يبست من جذورها.. من أصولها. قلت له.. يا سيدي هذه هى التينة التي لعنتها قد يبست.. قال.. ليكن لكم إيمان.

أدركت فيما بعد أننا قد تحصلنا على هذه النعمة.. أن ننكر الرياء ونبغض المظاهر الكاذبة ونستطيع أن نفعل بهذه التينة كما فعل هو. نُميتها ولا نأكل من ثمرها لأن الأكل من الثمرة المُنهى عنها كان علة سقوط آدم الأول أما آدم الثاني فقد أقام سقوط البشرية التي أكلت من الثمرة وتعدت الوصية.

ها هو يعيد لنا رتبتنا الأولى. وما سقط فيه آدم الأول أقامه آدم الثاني. وإن كنا في آدم متنا بالخطية والمخالفة ففي آدم الثاني قمنا واستقمنا.

يوم الخميس الكبير

ما كان يخطر ببال أحد ما عشناه في ذلك اليوم، لقد دخل هذا اليوم سجلات الأبد. ماذا صنع فيه يسوع؟.. أرسل اثنين منا لكي يجهّزا ويعدّا العلية المفروشة ثم ذهبنا. وحسب عادة آبائنا صنعنا العشاء الأول والثاني.. ولكن بعد العشاء الأول.. ارتسمت ملامح وجه يسوع بجدية خطيرة ومشاعر يصعب الحديث عنها. كلنا تحولنا ننظر إليه..

لقد رأيته على قمة جبل التجلي ممجداً مضيئاً بنور لاهوته بمجد أسمى من نور الشمس. ولكن في هذه الليلة ملامحه تنطق بعمق السرِّ المكنون. أخذ خبزاً على يديه.. هذا ليس في طقس العشاء اليهودي.. شيء مختلف تماماً عما نصنعه في كل عام.

جعل الخبز على يديه، ثم رفع بصره نحو السماء إلى الآب كمثل ما رأيته مراراً وكما رأيته يخاطب الآب أمام قبر لعازر ويشكره أنه سمع له وأنه في كل حين يسمع له.

شكر الآب إذ قد كملت الإرادة وأكمل المسيح إرساليته التي أرسله الآب لها. كان كمن يختم أعمال خلاصه ويكمل كل البر الذي قال عنه يوم معموديته من يوحنا.

– ما هو كمال البر يا سيدي؟

"العَمَلَ الذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ" هكذا كان يقول للآب. ثم بارك وكسر الخبز، ثم ناولنا الخبز قائلاً: "خُذُوا كُلُوا هذا هو جَسَدِي المَكسُورُ عنكم وعَنْ العَالمْ كُلُهْ".. لم يفهم أحد منا ما سر هذا العمل العجيب.

قالها من سنوات إنه يبذل جسده ويُعطي جسده مأكلاً حقيقياً ودمه يصير مشرباً حقيقياً. وقال للمعترضين: "الحَقَّ الحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُم" وقال: "مَنْ يَأْكُلْنِي

فَهُوَ يَحْيَا بِي". وقال: "مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ". وقال: "الخُبْزُ الذِي أَنَا أُعْطِي هُوَ جَسَدِي". ورجع كثير من تلاميذه إلى الوراء وقالوا: "إِنَّ هذا الكَلاَمَ صَعْبٌ! مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَسْمَعَهُ". ووقتها قال يسوع: "أَلَعَلَّكُمْ أَنْتُمْ أَيْضاً تُرِيدُونَ أَنْ تَمْضُوا؟" ولكني صرخت قائلاً: "يَارَبُّ، إلى مَنْ نَذْهَبُ؟ كَلاَمُ الحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ عِنْدَكَ".

الآن يحقق يسوع وعده ويعطي جسده المبذول ودمه المسفوك قبل الصليب بساعات ونحن لم نكن نعلم. إذاً هو يعطينا الآن حياته فينا كقوله.

يعطينا أن نأكل الحق ونشربه. يعطينا ذاته.. يعطينا أن نكون فيه وهو فينا.. يعطينا أن نثبت فيه.. من يستطيع أن يستوعب.. لم يكن وقت للكلام فالموضوع أعظم من الكلام. بل بذل للذات وعطاء للذات للذين أحبهم.

أخذنا، أكلنا كُلنا كما أعطانا، وشربنا الكأس التي هى العهد الجديد بدمه. وأحسسنا بالحياة الأبدية حياة المسيح تسري فينا.. شيء لا يوصف..

ما أعظمه من سر.. سر واهب الحياة.. حين يبذل ذاته ويستودع جسده ودمه في حياة مختاريه.. هذا السر عظيم.

ثم فاجأنا بأمر لم يخطر لنا على بال، إذ قام عن العشاء.. وأحضر

مغسل وصب فيه ماء واتَّزَرَ بمئزرة وجلس على الأرض. كُل ذلك ونحن ننظر إليه في ذهول.. يا سيد نحن موجودون، نحن نخدم، نحن نخضع ونطيع.. لماذا لم تأمر أحدنا أن يحضر المغسل أو يصب الماء.. أو.. أو.. لم نفهم كعادتنا قصده..

كل مقاصده كانت أعلى من فكرنا، ثم سأل يعقوب قائلاً: هات رجليك أغسلها.. من يستطيع أن يحتمل هذا؟!.. ولكن يعقوب تقدم صامتاً.. وقدَّم رجليه.. غسلهما يسوع ثم نشفهما. ثم دعا من بعده وهكذا..

ثم جاء إليَّ.. استكثرت ذلك على نفسي.. أنا.. أنا.. من أكون يا سيدي حتى تغسل أنت رجليَّ. لا.. لن يكون هذا.. لن أقبل هذا.. لن تغسل رجليَّ أبداً. اعتفيت وابتعدت بإصرار.. كان قلبي يذوب داخلي اتضاعاً وإحساساً بحقارتي.

بادرني الرب بقوله: "إِنْ كُنْتُ لاَ أَغْسِلُكَ فَلَيْسَ لَكَ مَعِي نَصِيبٌ". هنا اصطدمت كلمات الرب بقلبي وعقلي.. سأُحرم من النصيب مع المسيح.. ماذا أنا صانع؟

استدرت مستدركاً وقائلاً: لا يا سيدي لا أريد أن أخسر نصيبي معك ولو كلفني هذا حياتي، فإن كان هذا الأمر يخسرني نصيبي فأنا متنازل عنه. خذ اغسلني كلي "يَا سَيِّدُ، لَيْسَ رِجْلَيَّ فَقَطْ بلْ أَيْضاً يَدَيَّ وَرَأْسِي".. كلي كلي.. اغسلني

من أدناسي.

قال الرب مجاوباً: لست بحاجة يا بطرس إلا لغسل رجليك. لقد حممتك من قبل بحميم الميلاد.. ولكن بسبب الطريق تتسخ رجليك فقط وتحتاج إلى من يغسل رجليك. إنك كلك طاهر مقدس ولكن طبيعة البشر قد تخطئ، ولكن لا يلحق التراب سوى قدميك وأنا مستعد أن أغسل قدميك كل حين.

تقدمت خاشعاً فغسل رجليَّ. كم أحسست بنقاوة تسري في كياني. قال الرب: "لَسْتَ تَعْلَمُ أَنْتَ الآنَ مَا أَنَا أَصْنَعُ، وَلكِنَّكَ سَتَفْهَمُ فِيمَا بَعْدُ".

فلما فرغ من غسل الأرجل قام وقال: "أَنتُمْ تَدعُونَنِي مُعلِّماً وسَيِّداً، وحَسناً تَقولونَ، لأَنِّي أنا كذلِك. فإِن كُنتُ وأنا السَّيدُ والمُعلِّمُ قد غَسلتُ أرجُلَكُمْ، فأنتُمْ يَجِبُ علَيكُمْ أن يَغسِلَ بَعضُكمْ أَرْجُلَ بَعضٍ".

حقاً يا سيدي إن كنت أنت في اتضاعك تنازلت إلى غسل الأرجل فكم بالحريّ التراب والمزدرى.

فإن كان رب الكل صار غاسلاً للأرجل فكم يكون العبيد البطالون.

واحدٌ مِنكُم يُسَلِّمُني

على أن هناك حادثة أخرى تركت أثراً عميقاً في نفسي في تلك الليلة ولها مدلولات كثيرة.. فقد قال الرب أثناء العشاء وشهد قائلاً: "إِنَّ وَاحِدًا مِنْكُمْ سَيُسَلِّمُنِي!". طبعاً ما أقسى الخيانة إنها خطية شنيعة لا سيما إذا جاءت من أحد الأحباء.. "الَّذِي وَثِقْتُ بِهِ، آكِلُ خُبْزِي، رَفَعَ عَلَيَّ عَقِبَهُ".. "فإن كان العدو قد عيَّرني لاحتملت.. ولكن إنسان سلامتي الذي وثقت به الَّذِي مَعَهُ كَانَتْ تَحْلُو لَنَا الْعِشْرَةُ".. يا للأسف!!

كان الكل ينكر على نفسه أن تلتصق به هذه الجريمة البشعة.

كان يوحنا متكئاً في صدر يسوع فأومأت إليه أن يسأله.. يا للعجب!

يسوع كان عالماً بكل شيء. وقد علم بكل ما في الإنسان.. ومرات كثيرة كان يفحص أفكار الكتبة والفريسين ويقول لهم.. لماذا تفكرون هكذا في قلوبكم؟ فهو عالم من سيسلمه ولسنا نفهم لماذا أعلنها هكذا؟!! لعله يفتح له باب توبة ورجوع؟ لسنا نعلم.. وكنا لا نشك في أحد ولكن مادام يسوع قالها فهى حق. فيوحنا سأل الرب كأنه في السر. فقال له الرب: "هُوَ ذَاكَ الذِي أَغْمِسُ أَنَا اللُّقْمَةَ وَأُعْطِيهِ!".

يا لحبك يا يسوع.. فإن أسرارك تعلنها للذي يحبك.. لقد أعلنت لإبراهيم والآباء والأنبياء أسرارك حتى قيل: هل يفعل الرب أمراً ولا يرى عبيده الأنبياء ما لا بد أن يكون؟

فأخذ يسوع اللقمة وأعطاها ليهوذا. ارتعت جداً.. فهو الكبير والمؤتمن والمعدود معنا، بل ومتقدم فينا. كيف جرؤت على هذا؟!! كيف أغواك الشيطان؟ كيف تخون المحبة؟ كيف تسلم سيدك.. ولكن بماذا؟! ربما بمال.. آه ما أحقر المال.. لتهلك الفضة وتُداس بالقدم هذه التي أغواك الشيطان بها.

لمَّا أخذ اللقمة من يد الرب.. لمحت وجه يهوذا فهالني منظره.. كأن شيطاناً نجساً قد امتلكه.. لقد رأيت الذين كانت عليهم أرواح نجسة وكانت تهلكهم.. ذات الملامح وبشكل أكثر قباحة. كان روح الظلام قد اقتحمه اقتحاماً، فقال الرب: "مَا أَنْتَ تَعْمَلُهُ فَاعْمَلْهُ بِأَكْثَرِ سُرْعَةٍ". لم يكن الرب يخشى الموت أو الآلام أو الصليب.. أليس من أجل هذا أتى.. فخرج المسكين وكان ظلام.. لقد ترك النور فأدركه الظلام كقول المسيح!!

فلما خرج يهوذا ساد على الجو روح سلام عجيب كأن عنصراً فاسداً كان وشيكاً أن يؤذي الجسد كله ثم فُصِلَ عن الجسد.

كلَّمنا يسوع بكلمات عزاء فائق ثم صلى صلاته الأخيرة لأجلنا التي صارت في الواقع سند حياتنا وحياة من أتى بعدنا..

لقد أعطانا كل ما له ووحَّدنا فيه وورثنا مجده وحبه الذي له مع الآب.

سبحت أرواحنا في السماوات واتخمت من كثرة المواهب والعطايا التي

لم تخطر على بال أحد من البشر أن نصير نحن شركاء الطبيعة الإلهية ونصير بالمسيح لنا حظوة ودالة عند الآب.

"لأَنَّ الآبَ نَفْسَهُ يُحِبُّكُمْ.. لِيَكُونَ فِيهِمُ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ.. قَدِّسْهُمْ فِي حَقِّكَ.. أَيُّهَا الآبُ أُرِيدُ أَنَّ هؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي.. لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا".

هذه إرادة المسيح نحونا أظهرها في صلاته التي هى صلته ووحدانيته مع الآب أعلنها جهاراً لكي ننال بلا خوف نصيبنا المعيَّن لنا من الله قبل الدهور في شخص ابنه المُنزَّه عن الكذب.

في جثسيماني

لما فرغنا من التسبيح خرجنا نتبعه، كان يسير أمامنا.. لم نره هكذا من قبل كان كمن حمل أحمال العالم كله.. كانت ملامحه تصرخ بهذا ولكن لم يكن أحد يرى أو يدرك.

قادنا إلى جثسيمانى.. البستان واسع ومظلم، ولكن وجه يسوع كان ينير طريقنا.. كان القمر قارب أن يكون بدراً. وفي وسط البستان في بقعة محاطة بالأشجار. قال لنا.. امكثوا أنتم هنا.. وابتعد هو نحو رمية حجر.. كنا نراه كخيال من نور. ظللت أرقبه ولكن غلبني الحزن وقهرني التعب ابتدأت عيناي تغمضان.. ويحي.. رأسي ثقيل.. جسمي مهدل.

استيقظت على لمسه.. كانت يده توقظني.. يا سمعان.. قلت وأنا متثاقل في نومى: نعم يا سيدي.. "صَلُّوا لِكَيْ لا تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ". قلت في ذهني.. أية تجربة تقصد.. ألسنا في تجربة..

ذهب أيضاً إلى مكانه الذي اختاره ليسكب فيه نفسه متضرعاً بصراخ ودموع وعرق يتصبب كقطرات الدم.. من أجل كل واحد.. وعوضاً عن كل واحد محكوم عليه بالموت.

كانت شجاعتي قد ذهبت عني. أين الكلام الذي قلته من ساعات إنني أضع نفسي عنه.

الكلام سهل يا سيدي. ولكنك جُزت المعصرة وحدك كما هو مكتوب. كان قد حذرني من الإنكار وأنبأني بما سيكون مني.

لقد قال لي الرب: "سِمْعَانُ، سِمْعَانُ، هُوَذَا الشَّيْطَانُ طَلَبَكُمْ لِكَيْ يُغَرْبِلَكُمْ كَالْحِنْطَةِ!".. ويا لحلاوة حبك يا سيدي.. لقد طلب من الآب أن لا يسلمني إلى التمام في يد الشيطان، بل يحفظ إيماني لكي لا يفنى.. طلبتك تسندني فلا أهلك.

آه لو تركتني ولو إلى لحظة.. لو لم تكن صلاتك سندي لانهارت قواي إلى الموت. جاءني ثانية.. يا سمعان: "أَهكَذَا مَا قَدَرْتُمْ أَنْ تَسْهَرُوا مَعِي سَاعَةً وَاحِدَةً؟".. سامحني يا سيدي.. جسدي.. جسدي. قال: "أَمَّا الرُّوحُ فَنَشِيطٌ وَأَمَّا الْجَسَدُ فَضَعِيفٌ".

ويا لقِمَّة الشفقة والحنان على الخليقة الضعيفة التي علم أبعاد ضعفها إذ اتخذ له جسد البشرية واتحد به... "نَامُوا الآنَ وَاسْتَرِيحُوا"..

أنت يا سيدي .. نفسك تعتصر من الألم بسبب حمل خطايا العالم وأنت تجثو على الأرض العراء وتسجد بوجهك إلى الأرض.. تجاهد جهادي.. تحارب حربي.. وتجعلني أنام وأرتاح.

لا راحة لي إلاَّ فيك يا سيدي.. أنت بحق مريح التعابى والخطاة.. أنت حامل خطيتي لكي لا أحملها فأموت. ثم قال: "قُومُوا نَنْطَلِقْ! هُوَذَا الذِي يُسَلِّمُني قَدِ اقْتَرَبَ!".. ذهب ليقابل مسلِّمه حسب الخطة المرسومة لا من الناس، بل في تدبيره الإلهي قبل الأزمنة.

لو كان كباقي الناس لهرب، ولكنه صنع العكس، ذهب هو إليه!! أضاءت طرق البستان المشاعل والمصابيح الكثيرة. آه يا ربي جمع كثير.. جند الهيكل وجند رؤساء الكهنة وبعض عساكر الرومان وجمهور من الرجال. لماذا كل هذا؟!

شيء مزعج مخيف.. غوغاء وقوى يحركها الشيطان قتَّال الناس. أصابنا خوف شديد. كغنم تفقد راعيها فتتزعج لتسير نحو المجهول من الخوف في كل اتجاه.. رعبة شديدة وقعت على جميعنا. تقدم هو وواجه هؤلاء جميعاً وَقَالَ لَهُمْ: "مَنْ تَطْلُبُونَ؟ أَجَابُوهُ: يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ قَالَ لَهُمْ أَنَا هُوَ".. يا إلهي: "رَجَعُوا إِلَى الْوَرَاءِ وَسَقَطُوا عَلَى الأَرْضِ". كمن يسجد، ليس كعبادة، ولكن رعبة وخوف.

قاموا بعد أن أفاقوا من الصدمة. كرر عبارته وتكرر سقوطهم. فلما استفاقوا ووقفوا أمامه قال لهم يسوع: "قَدْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي أَنَا هُو". ولكنه جعل شرطاً عجيباً لتسليم نفسه بإرادته "فَإِنْ كُنْتُمْ تَطْلُبُونَنِي فَدَعُوا هؤلاَءِ يَذْهَبُونَ". حقاً إنه هو المخلص والملك الذي فدى رعيته بحياته.

لم يكونوا يقصدون في ذلك الوقت سواه هو شخصياً. ولم يزل الشيطان يشتكي على المسيح في أولاده وتابعيه. ولكنه كان لا بد أن يكمل آلامه وحده لا يشاركه فيها أحد إلى أن يقهر الموت بالقيامة. ثم بعد ذلك أنعم بشركة الآلام الممجدة لخواصه الشهداء القديسين.

لم يكن معظم الجمع يعرفه لا سيما الجنود. وفجأة وقعت عينيَّ على

يهوذا يتقدم من وسط الغوغاء. "تَقَدَّمَ إلى يَسُوعَ وقَالَ السَّلاَمُ يَا سَيِّدِي! وقَبَّلَهُ".

أي سلام يا قاتل السلام!!

أي سلام يا خائن العهد!!

وأي قبلة يا عدو الحب الحقيقى!!

وأي معلم وأنت لم تتعلم منه شيئاً!!

ويا لَلُطف يسوع العجيب حتى في أحلك الساعات. إن طبعه اللطيف لا تغلبه أشر الخطايا حتى الخيانة. قال له: "يَا صَاحِبُ، لِمَاذَا جِئْتَ؟".. يا للعجب يا سيدي لقد صار عدو وخائن، ألا زلت تدعوه بهذا اللقب؟!! "يَا يَهُوذَا، أَبِقُبْلَةٍ تُسَلِّمُ ابْنَ الإِنْسَانِ؟" القبلة علامة المصالحة وعنوان الحب. كيف جَسَرتُ أن تعملها ساعة الخيانة؟!

اقشعرّي أيتها السموات وانشقّي أيتها الأرض أمام هذا المنظر!!

انزعجت نفسي عندما رأيتهم يلقون عليه الأيادي الخشنة التي لا تعرف سوى العنف والقسوة وهو الحمل الوديع. غلى الدم في رأسي، اندفعت لكي أدافع عنه.. أعمل أي شيء.. استليت سيفاً كان معي.. تفكرت أن أضرب به لعلَّهم يخافون. فكر ساذج هذا الذي راودني.

ولكني في اندفاع عملت.. ضربت.. جاءت الضربة في الرجل الذي كان يقف تجاهي. لم يكن قائداً ولا جندياً ولا أحداً من الكبار. ولكنه عبد رئيس الكهنة، إنسان لا حول له ولا قوة. هو مرافق متفرج لا أكثر، لا سلاح له ولا عصا في يده. صرخ لما أطاح السيف بأُذنه فقطعها وألقاها على الأرض واندفع الدم. وضع الرجل يده وصاح من الألم ومن الخوف..

التفت يسوع من وسط المعمعة وقال لى: "اجْعَلْ سَيْفَكَ فِي الْغِمْدِ لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ". هل علَّمتك أن تقاوم الشر بالشر؟ هل دعوتي لك وإرسالك للعالم كان بسيف ورمح؟ ألم أجردك حتى من عصا الطريق لكي لا تحمل عصا للدفاع عن النفس؟! مالك والسيف؟ الروح الذي فيك روح سلام وليس روح السيف. لم آت بسيف ولو أردت الدفاع عن نفسي لطلبت ذلك من "أبي فَيُقَدِّمَ لِي أَكْثَرَ مِنِ اثْنَيْ عَشَرَ جَيْشًا مِنَ المَلاَئِكَةِ؟" في الحال تدافع عني. ملاك واحد كفيل بأن يقتل ١٨٥ ألفاً في ليلة، فمن تكون هذه الشرذمة. ولكني أسلِّم نفسي بإرادتي.

انحنى السيد على الأرض ورغم الظلام التقط الأذن المقطوعة ولصقها في وجه ملخس العبد. يا للعجب قد عادت الأذن إلى حالها الأول كأن شيئاً لم يحدث. عاد الرجل صحيحاً.

يا لقساوة القلوب وعمى الأعين.. ألا يبصرون.. كيف صاروا

كأحجار الوادي.. لم يدرك أحد عظم هذه المعجزة ولا أعاروها انتباهاً. كانت أوامر رؤساء الكهنة قد أعمت عيونهم عن أن يروا وصمَّت أذانهم عن السماع.

عُدت إلى صوابي.. لقد أزال المسيح عني رعونة عملي وتهوري.. أنا أفسدت وعوَّجت الطريق وهو أصلح آثار خطيتي وجرمي. ما هذا الذي فعلته؟ إنه شروع في قتل.. هذه خطية عظيمة.

ثم بعد أن صنع بي يسوع هكذا. وبعد الأيام والسنين عُدت إلى نفسي أقول حتى آثار الخطية محاها.. فلا يستطيع أحد أن يشتكي عليَّ. فإن اشتكى ملخس أمام محاكم الدنيا إنني قطعت أذنه فلا يوجد دليل مادي فأذناه الاثنتين في رأسه.. كم حمدت المسيح ومعروفه وجميله صار يطوِّق عنقي ما دمت حياً وإلى الأبد.

قبضوا عليه:

انخلع قلبي عندما رأيته في قبضتهم ولكن عبارة قالها: "هذِهِ سَاعَتُكُمْ وَسُلْطَانُ الظُّلْمَةِ".. إذاً هو يعلم أنها ساعة وإن سلطان الظلمة له نهاية.. كانت هذه بداية النهاية لسلطان الظلمة. كانوا يجرّونه بعنف، وكثير منهم يتشفى. وجدوها فرصتهم ففعلوا بغير حياء.

قلت في نفسي: إنه لم يفعل شراً بأحد.. فلماذا هذا؟! لم أجد جواباً.. كتمت غيظي داخلي وتذكرت ملخس وما جرى له.

تفرقنا.. نظرت حولي فلم أجد معظم إخوتي التلاميذ.. رأيت واحداً يجري، ثم جرى وراءه بعض الرجال.. أمسكوه.. فترك لهم ثوبه وهرب عرياناً.

تبعت من بعيد، كان الخوف قد امتلكني.. تذكرت كلامه يرن في أعماقي " لأَنَّهُ إِنْ كَانُوا بِالعُودِ الرَّطْبِ يَفْعَلُونَ هذَا، فَمَاذَا يَكُونُ بِالْيَابِسِ ". إلى أين هم ذاهبون؟ وصلوا إلى دار رئيس الكهنة. فُتح الباب اندفعوا بسرعة بمصابيحهم وسيوفهم وعصيِّهم.. كان البوابون يفرزون الداخلين.. كلهم معروفون. وقفت من بعيد حتى دخلوا وفي آخر الكل اقتربت إلى الباب لأدخل.. منعتني بوَّابه من الدخول. من أنت؟ وإلى أين أنت ذاهب؟ لم أرد.. ابتعدت قليلاً ووقفت خارجاً.

لفتني دوامات ودوامات وعواصف الأفكار. نفسي صارت مضطربة كقارب صغير في بحر هائج. تضربني الأمواج من كل جانب. شعرت بمسكنة وخوف واضطراب غير عادي.

وبينما أنا كذلك انفتح باب دار رئيس الكهنة وخرج واحد، إنه يوحنا.. حبيب يسوع وحبيبي.. بادرني قائلاً.. لماذا تقف في الخارج؟ لم أردُّ. اصطحبني إلى البوَّابة متأبطاً ذراعي. ودخل بي إلى الدار.. لقد كان يوحنا معروفاً عند دار رئيس الكهنة. امتعضت البوَّابة لما رأتني ولكن يوحنا أشار إليها إنني معه. فلم تتكلم. دخلتُ الدار.. أصابني دوار.. كاد يغمى عليَّ من فرط الأفكار التي تزحم رأسي والمشاعر المختلطة التي

تغلي في داخلي.

لم أعلم إلى أين أذهب. وجدت زمرة من الخدم جالسين جانباً. شعرت بالبرد القارس. كان الخدام قد أضرموا ناراً وجلسوا يصطلون. ساقتني قدماي إلى هناك وفي طرف الجماعة وقفت كأني أسرق قليلاً من الدفء. عيناي كانت نحو البهو الكبير حيث رؤساء الكهنة والكتبة وجمع كبير حول يسوع. يشتكون عليه ويحاكمونه. أُذني كانت تسترق السمع لعلي أعلم شيئاً. كل ما كان يصل إلى مسمعي صياح ولطمات.. صياح من رؤساء الكهنة، ثم سكوت ثم اختلاط أصوات.. لم أسمع صوت حبيبي.. أعتقد أنه كان صامتاً لا يفتح فاه.. تذكرت قول إشعياء فاعتصر قلبي بالألم.

من الناحية الأخرى كان الخدم يتكلمون فيما لهم.. معرفتهم قليلة معظمها إشاعات أو بحسب ما تسرب لهم من معلومات من رؤساء الكهنة. هكذا يعيش خدام القصور على ما يلتقطون من فتات المعرفة وتناثر الأخبار يتناقلونها كأصحاب معرفة. ولهم جوهم الخاص واهتماماتهم التي لا تعدو لقمة العيش ثم المشاحنات التي تدور بينهم. جو لم ألفه ولا دراية لي به. ولكنها الظروف التي حتَّمت عليَّ الجلوس في مثل هذا الوسط الخانق.

وفي ضوء وهج النار التي أضرموها نظر أحدهم واستدرك وجودي

وصاح في خشونة بالغة وملامح قاسية.. ألست أنت تابع ليسوع الناصري؟ دخلني خوف شديد وأجبت بلا تفكير.. « يَا إِنْسَانُ، لَسْتُ أَنَا! ». لعل أحداً منهم رآني حينما قطعت أُذن العبد ملخس؟ أليس هو واحد منهم ورفيقهم؟ يا خوفي مما قد يحدث! من ينقذني من هذه الورطة؟!

ثم أن البوَّابة مرت بي. لست أدري ماذا كانت تصنع. فتفرست فيَّ وقالت: "أَنْتَ مِنْهُمْ، لأَنَّكَ جَلِيلِيٌّ" أما رأيتك عند الباب. أنت تبع يسوع. قلت: يا امرأة "لَسْتُ أَدْرِي وَلاَ أَفْهَمُ مَا تَقُولِينَ". قال بعض الخدم وقد اجتمعت نظراتهم مركزة عليَّ بسبب كلام المرأة البوَّابة: ماذا تقول يا رجل إن لغتك ولهجة كلامك تُظهر أنك بالحقيقة من تلاميذ يسوع.

ويحي.. ويحي.. بدأت أخرج عن وعيي. شعرت كأن ظلمة مدلهمة اكتنفتني ودفعتني قسراً. صرت كمن ارتمى على الأرض من صدمة تلقاها من شيطان قوي. انفتح فمي بكلام شتائم وكلمات تسبب لي حزناً دفيناً كلما تذكرتها.

لا أريد أن أذكرها.. صرت كألعوبة في يد الشيطان وأعوانه هؤلاء الخدم المساكين.

أنقذني من هذا المأزق المؤدي إلى الموت صوت الجمهرة من رؤساء الكهنة والمجتمعين حول يسوع وهم يخرجون به من البهو إلى الدهليز. انتفض الخدم واقفين ووجدت نفسي وحدي. وإذا عيني يسوع تقع عليَّ.. هالني منظره.. لم أرَ وجهه منذ كنا في البستان. كان وجهه قد شبع

لطماً.. يا لحُزني.

كان صدى كلمات التجديف والشتائم لم يزل يرن في أذني.. أين أنا أو من أنا.. لقد فقدت هويتي، بل فقدت كياني. أين تاريخ حبي وتبعيتي.. أين ما أخذته في سنين فرحي ودخولي وخروجي معه. أين معرفتي به وشهادتي له وغيرتي نحوه. هل فقدت كل ذلك في لحظة؟

مرت عليَّ هذه اللحظات رهيبة كعاصف الموت وشدائد الجحيم. نظرت إليه.. عيناه تنظران نحوي.. لا أستطيع أن اقترب إليه وليس وقت للكلام أو العتاب أو أي شيء. قرأت ما في عينيه نحوي. كأن قوة الحياة دبَّت في قلبي المائت. كانت في عينيه كلمة واحدة صارخة. ولغة العيون تخطيء وتصيب إلاَّ عيني يسوع حين ينظر فليس فيهما احتمالات لأنه هو الحق ذاته. كانت عينيه تقول لي وبكل تأكيد: "**يا بطرس أنا أحبك**". كمثل الثلج إذا أطلقت عليه ناراً هائلة.. ذابت نفسي.. ذابت بكل المقاييس. أحسست بفيضان من أثر ذوبان الثلج. نهر جارف صار في أعماقي.

وصاح الديك!

صياحه أطن في أذني كأعظم انفجار تسمعه أذن إنسان، ثم صاح ثانية فتعالى الصياح داخلي مع هدير الفيضان الذي أحدثته نار محبة عيني يسوع في برودة نفسي من الداخل. فخرجت خارج هذا الدار

الكئيب لأنتحي وأنتحب وأطلق العنان لهدير المياه في داخل بوابات عيني لأبكي بكاءاً مراً.

"يَا لَيْتَ رَأْسِي مَاءٌ، وَعَيْنَيَّ يَنْبُوعُ دُمُوعٍ" لأشفي نفسي المكسورة وقلبي الجريح. شبعت من البكاء ورغم أنه كان بكاءاً مراً لم اختبره قط في حياتي ولكني شعرت في نفسي كأن سحب الكآبة عبرت عني وكأن الشمس عادت وأشرقت داخل قلبي.

محاكمة ظالمة

مضت الأحداث سريعة، سريعة جداً، لا يستطيع عقلي أن يلاحقها. لقد ذهبوا بالسيد من بيت قيافا إلى بيت حنان إلى بيلاطس إلى هيرودس ثم إلى بيلاطس ثانية. كل ذلك خلال ساعات قليلة.. لم أرَ يسوع فيها ولكن قلبي وكل أحاسيسي كانت هناك. ورغم الآلام التي لا يُعبَّر عنها ولكنني كنت أتذكر كلامه عن آلامه وموته العتيد أن يكمله.

وكانت الأحداث تتوالى ففي الصباح اجتمع رؤساء الكهنة وجمهور كبير لدى قصر بيلاطس. فخرج إليهم بيلاطس، كانوا في شبه مظاهرة، هيَّج رؤساء الكهنة الشعب فصاروا يصرخون كل واحد بشيء، ثورة وهياج. قال بيلاطس أي شكوى لكم على هذا الرجل أنا لا أرى فيه شيئاً يستوجب الموت أو الجلد. ورغم ذلك أخرجه بيلاطس ليروه وقال لهم: هوذا الرجل.

رأيته من بعيد انخلع قلبي لما رأيته. ما هذا الذي يعلو رأسه؟ أشواك.. يا للقساوة الفائقة عن الحد وهذا الذي يلبسه ثوب حرير أرجواني.. أحمر قاني.. والدم يسيل من كل وجهه ومنظر الاعياء والآلام تنضح عليه.

يا سيدي بالحق احتملت ظلم الأشرار وبذلت ظهرك للسياط..

وما هى إلا ساعات وقد صدر الحكم وساقوه مع اثنين من المذنبين

وهو حامل الخشبة التي سيُصلب عليها. كنت أسير تابعاً من بعيد.. لم يكن أحد يستطيع أن يقترب فعساكر الرومان شرسين عنفاء. كانوا يحيطون بالموكب ويشبعون من يقترب ضرباً بالسياط أو يلكزونه بمؤخر الحربة.

أخيراً وصلوا إلى مكان الجلجثة فوق التل. كان يسوع قد أضناه التعب للدرجة التي فيها وقع تحت نير الخشبة. وأقاموه ليحملها أيضاً مرات ومرات وأخيراً وجدوا إنساناً سخَّروه لكي يحمل صليبه.

وهناك على الجلجثة وضعوا الخشبة وسمروه عليها بمسامير غليظة بكل قسوة وبلا رحمة!! كانت ضربات المطرقة تُسمع من على بعد، وكان قلبي في داخلي يرفرف مثل عصفور مذبوح.. ثم رفعوا الخشبة وثبتوها على الأرض.

سمحوا ليوحنا ولمريم أم يسوع أن يقفا هناك بجوار الخشبة. مرت اللحظات كئيبة مُقبِضَة.. صارت دموعي تجري كالنهر.. وبعد وقت قصير انقلبت الدنيا كلها.. صار ظلام فجأة.. ثم رعود واضطراب وزلزلة.. فكرت أن هذه نهاية العالم. أصاب الجميع رعب وأيَّما رعب. تكلم يسوع بالجهد بكلمات قليلة. وبعد ثلاث ساعات من تعليقه على الصليب "صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ يَا أَبَتَاهُ، فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي". ونكَّس رأسه.

الآب أبوه الذي خبَّرنا عنه ومجَّده وأظهر اسمه

لنـــا وأرانـــا إيـــاه فـــي شخصـــه لمـــا قـــال لفيلـــبس: "الـــذِي رَآنِـــي فَقَـــدْ رَأَى الآبَ". اســـتودع روحـــه فـــي يـــد الآب وأسلمها بسلطان. تذكرت كلمة قالها: "لي سلطان أن أضعها".

كسروا ساقي اللِّصيْن حوله، لكي يجهزوا عليهما، وفعلاً ماتا. ثم حدث ما لم يكن له مبرر. أخذ واحد من عساكر الرومان حربة وضرب بها جنب يسوع. لماذا أيها الوحش الدنيء؟ لقد مات! ماذا تريدون بعد! آه لو كان لي ما أفعله..

أحسست بعجز قاتل أمام قوة غاشمة. ولم أجد سوى دموعي ملجأ لنفسي فبكيت بمرارة وحرقة. ولكن هالني المنظر إذ رأيت دماً وماء قد انفجـــــــرا مـــــــن جنـــــــب يســـــــوع. وهل جسد الميت يفيض دماً؟! تعجبت واندهلت وأنا في عمق حزني وآلامي.

بدأوا ينزلوه عن الصليب.. تشجعت وذهبت لعلي أعمل شيئاً. انزلوه برفق.. تغيَّر فكر الحراس.. بعضهم صار مستاءً يبدو عليه الحزن. وآخرون كانوا يقرعون صدورهم. ورأيت قائد المئة المكلف بالأمر كله مطرقاً رأسه إلى الأرض ودمعة في عينيه وسمعته يقول: "حَقًّا كَانَ هذَا الإِنْسَانُ ابْنَ اللهِ !".

يا لهفي، ولماذا كل هذا بعد فوات الأوان وقد مات يسوع. كانت أم يسوع قد جلست تحت الصليب فلما أنزلوه تلقته هى على ركبتيها..

دموعها تسيل كالنهر ولكنها كاملة في صمت عجيب. لم تتكلم كعادتها فهى دائماً صامتة ولسنا نعلم أسرارها. كل شيء كان يدخل إلى كنز قلبها ولا أحد من الناس يعلم ماذا كان هناك في ذلك الكنز. ولكننا كنا نتحيّر فيما تخبئه من أسرار لا يطَّلع عليها حتى الملائكة.

جاء رجل غني اسمه يوسف محترم وموقَّر من الجميع، يسير معه أحد كبار معلمي الناموس ــ نيقوديموس ــ يحملان أكفاناً وأطياباً. متى أعداها؟! وما هى معرفتهما بيسوع؟! يوسف هذا لا أدري متى كان تلميذاً ليسوع؟ ونيقوديموس رأيته يزور يسوع في إحدى الليالي.. لم أره بعدها.. هل جلسة واحدة غيَّرت حياته فصار تلميذاً؟ أمور كلها لا يوجد لها عندي تفسير.

طيَّبوا جسده بالأطياب.. شيء كثير قد يكون ثلاث مئة رطل من الحنوط وأكفان كتان غالية. حملنا جسد يسوع إلى موضع قريب. قبر جديد في بستان يملكه يوسف الرامي هذا.

وضعناه في القبر!! يا سيدي أنت أخرجت لعازر من القبر بعد أن أنتن فقط منذ أقل من أسبوع!!

والآن نضعك أنت في القبر ونغلق عليك!؟

كيف يكون هذا؟ شيء يحيِّر العقول!

يدك التي أقامت الأموات تموت؟

أنت الذي أسكتّ الريح وأطاعك موج البحر تموت؟

أنت الذي فتحت أعين العميان تغمض عينيك كمثل المائتين؟

ولكن ما كل هذا ما الفائدة بعد أن مات.. حيرة وألغاز بلا حلول. يكاد عقلي يتوقف عن التفكير. وضعنا الحجر الكبير على باب القبر.

انتهى كل شيء ولم يبق سوى الألم والحسرة. رجعتُ إلى مكاني. أمَّا يوحنا فقد استنَدتْ على كتفه العذراء مريم وذهب بها إلى بيته. ذهبنا إلى بيت مرقس وصعدنا إلى العلية وأغلقنا على أنفسنا أنا وبعض التلاميذ. كان الخوف يحيط بنا من كل جانب. بعضنا قال.. مات يسوع.. لا بد أن دورنا آت!! إن كانوا قد صلبوه فماذا عساهم أن يعملوا فينا؟

أوهام ومخاوف. لفَّنا صمت رهيب معظم الوقت وإذا تكلم أحد فإنه يثير الخوف في نفوس الباقين!! ورغم أننا مجموعة، ولكن كانت هذه الليلة موحشة كأننا في برية قاحلة مملوءة وحوش كاسرة. ظلام وخوف. وتوقـــــــــــــــــــــــــــــــــــــع وحيرة.

لم يغمض لي جفن كل الليل. ظللت ساهراً وعيناي مفتوحتان تتوارد على مخيلتي كل الحوادث بتفاصيلها. الدموع تسيل من عينيَّ بلا ضابط. كأنني طول الليل واقف في الجلجثة وأصوات المطرقة تهز كياني وآلام يسوع تعتصر قلبي.

أشرقت شمس اليوم التالي، يوم السبت، والسبت هو الراحة بحسب

الناموس ولكنه الجمود وعدم الحركة. صار هذا السبت كأننا نحن أيضاً في حال الموت لم نتحرك من مكاننا. وإذا خرج واحد ففي حذر شديد ويرجع كأنه عصفور نجا من فخ الصياد. قضينا اليوم كله يلفنا الحزن والخوف. كان معظمنا صامتاً طوال اليوم. أفكار تذهب وأفكار تجيء وقد ملأ الحزن كل قلب.

فجر الأحد

حل الظلام وانقضى السبت. ولم يكن حظي في تلك الليلة أكثر من سابقتها فقد بت معذباً قلقاً ضعيفاً غاية الضعف.

في فجر الأحد سمعنا طرقات شديدة على الباب. قمنا مذعورين، ترددنا كثيراً أن نقترب إلى الباب ولكن لما سمعنا صوت الذي يقرع تشجعت وقمت افتح الباب. هذه مريم المجدلية ولكن لماذا جاءت في هذه الساعة المبكرة من الفجر؟ لم تكن الشمس أشرقت بعد. فتحت.. ألقت نفسها على الأرض من الجري والإعياء الشديد. قالت بلا مقدمات: "أَخَذُوا السَّيِّدَ مِنَ الْقَبْرِ، وَلَسْنَا نَعْلَمُ أَيْنَ وَضَعُوهُ!".

في لحظة خاطفة ذهب الخوف كأن هذا الفجر بدده ولست أعلم كيف؟ لم أفكر في شيء ولا عملت حساباً لأحد. بعد دقيقة واحدة وجدتني أجري بكل قوتي متوجهاً إلى القبر. كان يرافقني يوحنا.. كنا نركض بلا كلام.. قلب يوحنا الملتهب جعل فيه طاقة مضاعفة على الركض نحو قبر الحبيب..

وصل يوحنا قبلي بدقائق. فلما وصلت وجدت الحجر مدحرجاً عن باب القبر..

يا إلهي.. كيف هذا؟ إن الحجر هائل وثقيل جداً أخذ منا كل الجهد وكنا أكثر من ستة رجال لكي نضعه على فم القبر يوم الجمعة وها هوذا

الحجر مُلقى بعيداً.

ثم أين حراس الرومان الذين كانوا يحرسون القبر بأمر بيلاطس بعد أن ختم رؤساء الكهنة القبر بأختام؟ ها بعض الحراس مطروحين كالجثث. إنهم ليسوا نياماً ولا موتى.

اندفعت إلى داخل القبر. لم يكن جسد يسوع هناك. القبر معبق برائحة عطرة لم أشتمها في حياتي.. ألعلها الأطياب ولكن لا.. هذه الرائحة ليس لها شبيه.. يا ربي ما كان قبر يوماً من الأيام إلاَّ وتنبعث منه رائحة نتن المائتين ونتن الإنسان ليس له مثيل في الكراهة.

هذه هى الأكفان. موضوعة مرتبة كما كانت ملفوفة حول الجسد. ولكن المنديل الذي كان على الرأس ملفوفاً أيضاً وموضوعاً في ناحية وحده.

يا قلبي خبِّرني.. يا عقلي تفكر.. يا ربي لست أدري.

دلف يوحنا إلى داخل القبر ورآنى. نظر لما رأيته ولكنه صاح.. آمنت.. آمنت.. لم أنطق حرفاً واحداً. وبعد دقائق عدت راجعاً ورأسي مطأطئ وقلبي وفكري حيارى.. كلي عجب.. وكلي حيرة.

كنا قد تركنا مريم هناك. لم نُعِرها انتباهاً. كان شغلنا هو السؤال الحائر.. أين هو؟! لم تمضِ ساعة واحدة حتى عادت إلينا مريم تجري بكل طاقتها ولكن بلا تعب، وجهها مشرق منير كأن إشعاعاً من نور دخل إلى داخلها. تصرخ متهللة.. لقد قام.. لقد رأيته.. قام.. بالحقيقة

قام.

أصابنا نوع من شلل الفكر. تجمدت في موضعي. قالت.. إنه يقول لك يا بطرس ولإخوتك إنه سيراكم في الجليل. لقد قال لي ذلك.. صدقوني رأيته.. صدقوني ناداني باسمي.. هو هو بذاته.

ظننت أنها فعلاً تُهذي.. مسكينة! إنها خارج نطاق العقل. هل يُصدق كلامها؟! ربما من أثر كثرة السهر وعدم النوم والحزن والارهاق تخيل لها، ربما رأت خيالاً أو تخيلت. أو ربما وهم أو هذيان. على كل حال ليس من دليل مادي يؤيد كلامها..

زدنا حيرة واضطراب وتنازعتنا هواجس وأفكار من كل جانب. كان قلبي سقيم في داخلي. لقد ذهبت بنفسي إلى القبر ولم أرَ أحداً. جاءت أيضاً بعض النسوة. كن يقلن ما يُشابه كلام مريم، قلن أنهن رأينه، حاولن تأكيد كلامهن. ولكن من يصدق.. هذا أبعد من الخيال!!

مرت بي ساعات النهار ثقيلة كأنها دهور.. اضطراب وتضارب أخبار. سمعنا كلاماً قيل في الهيكل عن رؤساء الكهنة. إن الحراس يقولون إننا سرقنا الجسد وهم نيام! هذا زادني قلقاً وأتعب نفسي وكنت هكذا متحيراً من هذه الأقوال الكاذبة.. إن كان الحراس نياماً، فكيف عرفوا أن التلاميذ سرقوه؟ وهل ينام كل الحرس وليس فيهم واحد مستيقظ؟ كيف والقبر مختوم بأختام والحجر العظيم الذي على بابه؟ إن تحريك

الحجر يحدث صريراً وجلبة لأنه يتحرك داخل مجرى محفور في الحجارة. هذا كلام دسائس وإشاعات لا يقبلها عقل!! ومن منا كان يجرؤ أن يقترب من القبر أو الحراس. إنهم مثل كلاب مسعورة، غاية في العنف والكبرياء. هكذا رأيناهم بالأمس القريب.

جاء الغروب، أخذت الشمس في المغيب، أغلقنا الأبواب بأكثر حرص.. خفية وتوجس.. كنا نتوقع أن اليهود سيفاجئونا باتهام أننا سرقنا جسد يسوع ويلفقون لنا التهم ويقودونا إلى العذاب أو ربما القتل رغم إحساسنا أننا لم نفعل شيئاً.. ولكن معهم لا يوجد حق. وهل كان يسوع فاعل شر حتى أنهم قتلوه؟! إنهم ملفقون سياسيون لا روح لهم ولا خوف لله في قلوبهم.

بعد الغروب بقليل فوجئنا بقرعات على الباب.. القرعات متتالية وبقوة.. قوة رجال تقرع الباب.. يا خوفي.. لقد جاءوا.. إلى أين أهرب وإلى أين نذهب. ها نحن نواجه المجهول..

أين هو يسوع كنا نحتمي فيه.. لقد ضُرب الراعي فصارت الخراف في جزع وخوف. لم يجرؤ أحد أن يفتح الباب.. ولكن إن سكتنا سيكسر الحراس الباب ويأخذوننا عنوة وبقسوة أشد. تجلدت وفتحت الباب.. ارتعت جداً.. إنهم ليسوا جند رؤساء الكهنة ولا عساكر الرومان كما توقعت.

إنهم اثنين من أحبائنا تلاميذ الرب. ولكن اسمع ما يقولان وتعجب..

يقولان كلاماً يُطيّر العقل ويُدخل الإنسان إلى الذهول. لقد رأوا يسوع قائماً.. مشى معهما وهما منطلقان إلى قريتهما القريبة من أورشليم ولم يعرفاه أولاً. كلمهما طوال الطريق.. قالا إن قلبهما كان ملتهباً لما سمعاه يتكلم ويفسر لهما الكتب. والعجيب أنه كان يتكلم عن قيامته من الأنبياء والمزامير. قالا.. كنا كأغبياء وبطيئا الفهم رغم كل ما قاله لم نميّز صوته ولم نتحقق من شخصه.. عجيب.. عجيب.

ثم إذ وصلا القرية أصرًّا أن يستضيفاه. أظهرا له محبة كمحبة الغرباء. أخيراً قَبلَ ودخل إلى منزلهما. قدما له مائدة ضيافة بسيطة، ثم أمسك خبزة بيديه يكسرها. انفتحت أعينهما للحال.. هو الرب هو هو.. طارا من الفرح. لم يصدقا أعينهما ولا أذنيهما. همَّا ليمسكا به يقبلاه فاختفى عن أعينهما. خرجا من المنزل يركضان في وقت قصير بلغوا إلينا يُحدثان بفرح وانفعال شديد.. كانا في وسطنا كمن يرقصان. يعجز التعبير عن ما رأيناه.

يا قلبي أين أنت من كل هذا؟ كلام في كلام.. إن هذين التلميذين أحباء أتقياء. لا يمكن أن يكذبا أو يزوّرا أو يؤلفا كلاماً، ولكن ماذا يدفعهما إلى ذلك؟

ظل عقلي متجمداً مُحجماً عن التصديق. يا إخوتي هل من يموت ويُرفع يرجع لنراه مرة أخرى؟ إن لم يكن يسوع يقيمه مثل لعازر والموتى الذين أقامهم. ولكن هو وضعوه في القبر فمن يقيمه؟

سـلام لكـم!

عُدنا فأغلقنا الأبواب بكل إحكام لأن الخوف ظل معششاً في قلب كل واحد وفي فكره. لم تمضِ لحظات ونحن نغلي كمرجل.. وإذا نور وهَّاج فائق الوصف غشى العلية. وإذا يسوع نفسه قائم في وسطنا. غِبتُ عن وعيي للحظات، كاد قلبي ينخلع أولاً من الخوف والرهبة. ما هذا.. هل هذا خيال.. هل هى رؤيا؟؟ كدت أصرخ بكل قوتي ولكني لم أضبط قوة.

سمعت صوته الذي أعرفه جيد المعرفة يقول: "سَلاَمٌ لَكُمْ!".. لم يتكلم أحد ولم يرد أحد. أذهلتنا المفاجأة.. وقلما رأى الإنسان منظراً سماوياً، إن كانت رؤية ملاك تسبب للإنسان أيما ارتباك! فما هذا الذي أمامنا..

قال أيضاً: "سَلاَمٌ لَكُمْ!". طار قلبي من الفرح إنه هو هو. دعني آتي إليك كما أمرتني أن أمشي على الماء.. آه يا سيد. ولكن المشي على الماء كان أسهل. تقدم هو إليَّ وقال: لماذا تخطر أفكار في قلبك؟ ولماذا تظن إنني روح أو خيال؟

* يا سمعان بن يونا.. يا بطرس..

+ نعم يا سيدي.. نعم يا ربي وإلهي..

* أنا هو يا بطرس لا تخف..

ألم أقل لك مرات كثيرة إنه ينبغي أن أتألم وأصلب ثم في اليوم

الثالث أقوم.

+ آه يا سيدي الآن فقط تذكرت..

كيف غاب عني كلامك وأسلمت نفسي للأوهام والخيالات ونسيت.. ونسيت.

* لماذا لا إيمان لك؟ ألم تشهد لي أني المسيح ابن الله الحي؟ أين إيمانك يا بطرس؟!

سجدت عند قدميه. أقامني ماسكاً بيدي.. ما هذا يا سيدي.. اسندني بيمينك.. لا تخف يا بطرس هذا أثر المسمار.. ارتعت بالحق ولكنه قال.. ضع يدك في أثر المسمار.. إني خائف يا ربي..

ألا تزال في الخوف.. سلامي أترك لك.. سلامي أعطيك.. هات اصبعك. وضعت اصبعي في أثر المسمار.. بل وضع يدي في أثر الحربة. لم أشأ أن أسأل لماذا أثر المسامير والحربة مازالت موجودة وقد قمت وكسرت الموت؟ لم أجرؤ أن أسأل. لما لمست موضع الجراحات أحسست أني إنسان جديد بكليتي، قلبي جديد، عقلي جديد، فكري جديد.

لقد قام.. حقاً قام.. حقاً قام. لم يعد للشك مكان بعد. رأيته بعينيَّ، لم يقل لي أحد. لمسته بيدي في أثر الجراحات. كلمني ناداني باسمي.. جلست معه كما في البداية. جلس في وسطنا.

أشرق علينا نور القيامة. ذهبت الظلمة إلى الأبد. غمرنا فرح لا يُنطق به ومجيد. قال.. هل عندكم طعام؟.. يا سيد كنا محبوسين.

كمائتين. لم يجرؤ أحد أن يخرج أو يدخل. وعندنا هنا ما تبقى وما حرصنا أن نبقيه.. جزءٍ من سمكة مشوية وقليل من شهد العسل. وهل تحتاج يا سيدي إلى طعام؟ لكن رجعت عن السؤال.

أخذ وأكل وأنا أنظر إليه ويزداد عجبي ولكن مع فرحي. أكل وشرب وأنا جالس بجواره. ومن حين إلى حين أستوثق وأتأكد أنني في صحو ولست في رؤيا أو حلم. أضع يدي على عينيّ وأتحقق إنني في كامل وعيي. ومرة أعض على لساني فأشعر بالألم.. لا.. أنا في كامل الصحو. بل مددت يديّ إلى يسوع أمسكته مرة أخرى، لحم وعظام، ليس روح ولا خيال. ولكن كيف دخل والأبواب مغلقة؟

إذاً هو الرب بالحقيقة قام.. وهذه هى القيامة التي فيه.

لقد غلب الموت وكسر شوكته..

يا فرح كل إنسان يعرف يسوع ويؤمن به!

إنه القيامة والحياة. لقد عشنا القيامة ولمسنا الحياة..

سَرَتْ في قوة القيامة وقوة الحياة.

ثم ونحن في قمة الفرح متهللين وقد امتلأت نفوسنا بهجة ولساننا تهليلاً وقد تملينا من نور وجه يسوع المسيح ابن الله والقائم من الأموات واكتمل إيماننا بلاهوته. وقد ارتسم علينا نور وجهه. لم نجده في وسطنا. كما دخل والأبواب مُغلَّقة لم نشعر بغيابه عنا.

كانت هذه نقطة حاسمة فيما بلغناه من الإيمان بالمسيح. لم يفارقنا

السرور. كانت نفوسنا متهللة. بل قد سكن فينا السلام الذي وهبه لنا.

كان كل واحد فينا يسترجع ذاكرته فيخجل من قلة الإيمان وعدم التصديق. ولكن حتى يسوع نفسه رأف بحالنا وإن عاتبنا وبكَّت عدم إيماننا ولكنه لم يحرمنا من قوة قيامته لنراها، بل نحياها.. لقد أقامنا بالحقيقة معه.. فلم يعد الموت يخيفنا ولو توالت علينا أوجاع الموت الذي غلبنا في القديم.. نحن من الآن نحيا الحياة الجديدة.

هكذا عشنا الساعات التي تلت ظهور الرب ونحن لا نريد أن نسلم أجسادنا للنوم. كان الفرح يدفعنا للصلاة والتسبيح . نعمة وقوة عظيمة صارت على جميعنا. وعشنا الأيام التالية، الفرح يتجدد كل يوم والبهجة تزداد وليس لنا حديث سوى الرب القائم من الأموات كيف رأيناه.. كيف لمسناه..

وبينما نحن كذلك إذ توما قد جاء، لم أكن قد رأيته من يوم الجمعة يوم الصلب، رحبنا به ورآنا متهللين جميعنا. قلنا بفم واحد: المسيح قام.. بالحقيقة قام. لقد رأيناه وشاهدناه ولمسته أيدينا وأكل معنا وقدامنا. وكل واحد صار يقول ويشهد بما رآه وما سمعه. وتوما واقف مذهول ومبهوت لم يتكلم حتى سكت الجميع، ثم قطب جبينه وقال.. أنا لا أؤمن حتى أرى أثر المسامير التي قلتم لى عنها إنها مازالت في يده وأضع يدي في جنبه المثقوب بحسب كلامكم.

سكتنا وقلت في نفسي إن توما على حق ما لم يرَ بنفسه ويتحقق من

قيامته لا يمكن أن يصدق. وعذرت توما وقلت ها أنا قد سمعت قبلاً الذين رأوه حياً ولكنني كنت مُعذباً من الشك حتى أراني ذاته وأعطاني هذه النعمة.

وقلت أيضاً كيف سيشهد توما للعالم أنه رأى آيات الرب وعجائبه مرأى العين وحتى صليبه وموته ولم يرَ القيامة بل سمع من آخرين. إن هذا الأمر يعطل كرازته.

وبينما أنا متفكر في هذه الأمور ونحن كلنا مجتمعون وأبواب العلية مُغلَّقة وقد كان ثامن يوم لقيامة يسوع وهو الأحد الذي يليه. كنا في حال الصلاة وإذا النور ذاته برهبته وتوهجه.. نور سلامي روحاني سمائي لا يُعبَّر عنه حلّ في وسط التلاميذ.

وإذ السيد يبادرنا بقوله: "سَلاَمٌ لَكُمْ!". شعرنا بقوة السلام تغمرنا أيضاً كما في البداية. لم يجزع أحد ولم يضطرب أحد. بدا على الوجوه الفرح وإشراق القيامة. فرحنا إذ رأيناه. أشرق فينا وأضاء علينا. لم يضطرب توما كثيراً وبدا عليه قليل من الحيرة ولكن الرسل شجعوه. ونادى واحد وقال: ها هو يا توما أتراه هيا يسوع هنا.. يسوع قام.

لم يدع الرب وقتاً لحديث بل تقدم بذاته إلى توما وقال.. هَاتِ إِصْبِعَكَ. قدم يده بخوف ورعبة فأخذها يسوع وجعلها في أثر المسمار. ثم قال: وَهَاتِ يَدَكَ وَضَعْهَا فِي جَنْبِي المطعون.

هنا بدت من توما صرخة رهيبة كمن لسعته نار شديدة الاشتعال

وصرخ صراخاً عظيماً: "رَبِّي وَإِلهِي!". وهكذا نطق بالإيمان.. إيمان المسيح الإله القائم من الأموات.

قال يسوع وهو ينظر إليه بعطف وحب شديد: "لأَنَّكَ رَأَيْتَنِي يَا تُومَا آمَنْتَ! طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا". قلنا حقاً يا سيد فالإيمان بك لا يستند إلى دليل مادي بل إلى اشراق الحق في القلب.

الإيمان بقيامتك تصديق وثقة ويقين. لا يعتمد على حواس الجسد بل إلى تصديق القلب.

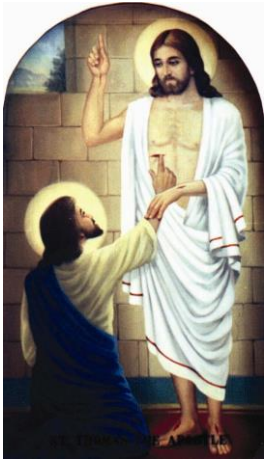

عودة إلى صيد السمك

عُدت إلى سابق عهدي، استقرت نفسي في الحق. شعرت إنني رجعت إلى شخصي الأول ولكن بسلام جديد وخبرة جديدة بالسماء والقيامة وإيمان ثابت بشخص المسيح الإله المتجسد الذي مات عنا وقام وأقامنا معه وغلب سلطان الموت.

في مساء أحد الأيام وحولي بعض إخوتي التلاميذ. قلت: ما رأيكم " أنَا أَذْهَبُ لأَتَصَيَّد ". قَالُوا لي بسرور: "نَذْهَبُ نَحْنُ أَيْضًا مَعَكَ". ركبنا القارب وابتعدنا قليلاً عن الشاطئ وصرنا نطرح الشبكة وننتظر قليلاً ثم نسحبها فلا نجد شيئاً. ثم عاودنا وكررنا هذا العمل. والأمل في الصيد موجود. والصبر وطول البال إحدى الصفات التي اكتسبتها منذ تعلمت هذه المهنة.

ظللنا على هذا الحال حتى لاح الفجر وبدأ أول ضوء ينير مع نسيم هادىء. أحسسنا جميعاً بإحساس جميل. ورغم أننا لم نصطد شيئاً لم نجزع ولم نيأس ولم تتأذَ نفوسنا.. شيء غريب لم نختبره من قبل. كان في الماضي إذا مررنا بهذه الخبرة في عدم الصيد يخيب منا الأمل ونفقد الرجاء ونشعر في داخلنا بخيبة الأمل ونكتئب. فما بالنا الآن.. هل تغيرنا حقاً حتى في مواجهة مثل هذه الظروف؟ حانت من أحدنا التفاتة نحو الشاطئ وإذ برجل واقف على الشاطئ. لم نتحققه جيداً بسبب أننا

لسنا في وضح النهار. ثم سمعناه يقول: "يَا غِلْمَانُ أَلَعَلَّ عِنْدَكُمْ إِدَاماً؟" (أي غموس). رددت لتوي وقلت: لا شيء البتة.. تعبنا كل الليل والمحصلة صفر، فلم نصطد شيئاً. فَقَالَ: "أَلقُوا الشَّبَكَةَ إِلَى جَانِبِ السَّفِينَةِ الأَيْمَنِ فَتَجِدُوا". بدون تفكير وجدت نفسي أطرح الشبكة كما قال. لم تمضِ ثواني حتى شعرت بثقل غريب كأني ألقيت الشبكة على حوض مملوء بالسمك. صرخت لوقتي من الدهشة والفرح.

كاد جذب الشبكة يشدني لأقع في البحيرة ولكنني تمالكت نفسي بقوة وكان يوحنا يسندني. كان يوحنا يسبقني دائماً. نظر بسرعة نحو الرجل الواقف على الشاطئ. صاح يوحنا يا بطرس هو الرب.. هو الرب. امتلأت رهبة وارتبكت. لبست ثيابي لأني كنت عرياناً.. ألقيت نفسي في الماء كأني أخبئ نفسي في الماء. ولكن ممن؟ وهو يفحص أعماق النفس ويعلم ما بداخل الصدور. على كل حال اتخذت جذب الشبكة حجة وبدأت أجذبها إلى الشاطئ. ثقيلة جداً جداً. ولكن شيء غريب يحدث إن الشبكة الضعيفة لم تتخرق من هذا السمك الكبير.

كنت أشعر بقوة تسندني. جذبت الشبكة إلى الشاطئ.. وتعجبت من حجم السمك.. السمك كبير جداً وكثير جداً.. وعلى غير عادة الصيادين دفعني هذا الإعجاز إلى أن أعد السمك. ليس عشرة ولا عشرين.. بل "مِئَةً وَثَلاَثاً وَخَمْسِينَ" سمكة

كبيرة. إنها معجزة عجيبة بكل المقاييس. ويا للعجب ما أن خرجنا من المركب حتى وجدنا "جَمْرًا مَوْضُوعاً وَسَمَكاً مَوْضُوعًا عَلَيْهِ وَخُبْزًا". كأن الرب أعد المائدة ليطعمنا كعادته. عُدت أسأل نفسي ألم يقل هو هل عندكم إدام؟ لقد سأل عن طعام.. وهو يُطعم كل أحد من غنى رضاه. "وَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ مِنَ التَّلاَمِيذِ أَنْ يَسْأَلَهُ: مَنْ أَنْتَ؟". لقد عرفناه من شخصه ومن أعماله. قال الرب: "قَدِّمُوا مِنَ السَّمكِ الَّذِي أَمْسَكْتُمُ الآنَ".

يا سيدي أنت صاحب الكل وواهب الكل..

هل أمسكناه من غير كلمتك.. أنت الذي هيأته بإعجاز وأعطيته لنا.. فهل تسأل منا كأننا أصحاب فضل أو كأن بقوتنا أمسكناه. كمثل أب يعطي ابنه كل العطايا ثم يسأل منه أن يعطيه جزءاً.

من يدك يا سيدي وأعطيناك.. هذا قانون عرفه الآباء من البدء.. قدمنا من السمك ووضعناه على الجمر. وبارك فأكلنا معه.

ثم بعد أن أكلنا أخذني الرب بذراعي وانتحى بي ناحية وحدنا. ثم فاجأني الرب بسؤال: "يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا، أَتُحِبُّنِي أَكْثَرَ مِنْ هؤُلاَءِ؟".

هالني ما سمعت ووقع عليَّ السؤال وقع الصاعقة ماذا تقول يا سيدي يا فاحص القلوب؟ هل تطلب حبي أنا؟ أنا غير مستأهل لحبك وعطفك وحنانك الذي حوَّطتني به وغير مستحق أن أكون لك خادماً ورسولاً. يا سيدي أنت تعلم كل شيء: "نَعَمْ يَارَبُّ، أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ". فقال لي

الرب: "ارْعَ خِرَافِي". وبعد لحظة كرر الرب ذات السؤال بنبرة صوته العجيب الفعل في أعماق النفس: "يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا، أَتُحِبُّنِي؟" يا رب أنت تعلم أني أحبك رغم ضعف بشريتي.. رغم جحودي وإنكاري.

لقد اعتمدت على ذاتي فزلقت قدمي. لقد اعتبرت نفسي أشجع من الكل وأكثر تضحية حتى قلت لو تركك الجميع لا أتركك. وتجرأت وقلت لو بلغ الأمر أن أموت عنك. لم تمضِ ساعات على كلامي هذا وإذا بي في غاية الضعف ولولا صلاتك عني لهلكت في مذلّتي ولكنك أبقيت إيماني بك.

نعم يا سيدي أنا أحبك. على أن الرب للمرة الثالثة قالها: "يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا، أَتُحِبُّنِي؟". لم أتمالك نفسي من البكاء.. لقد بلغ بي التأثر أي مبلغ. كفف الرب دموعي وعزاني وأعطاني هذه المسئولية الإلهية "ارْعَ خِرَافِي".

يا سيدي هى خرافك وأنت الراعي الصالح الذي بذل نفسه عنها.. يا سيدي أنت اشتريتها بدمك وأنت ترعاها.. أنت تحفظها فلا يهلك منها أحد..

ولكني أدركت للحال إنني سوف لا أحيا بذاتي بل للقائم من الأموات الذي أحياني. ولن أخدم بذاتي بل بقوة ونعمة منه. ولن أعمل شيئاً من ذاتي لأن بدونه لا أقدر على أتفه الأمور.

حانت مني التفاتة فوجدت يوحنا التلميذ الحبيب يسير خلفنا. قلت: "

يَارَبُّ، وَهذَا مَا لَهُ؟" قال الرب: "إِنْ كُنْتُ أَشَاءُ أَنَّهُ يَبْقَى حَتَّى أَجِيءَ، فَمَاذَا لَكَ؟ اتْبَعْنِي أَنْتَ!". كن في ما لنفسك ولا تشغل بالك بما لي مع الآخرين. أنت لك وزنتك أعطيتها لك ولآخر أعطي وزنات أخرى. كل واحد على قدر طاقته.

وليكن فيك هذا الفكر الذي للبنيان فأنتم لستم متنافسين متسابقين من هو الأكبر ومن هو الأعظم. لقد غسلتكم من هذه الأفكار والمبادئ التي يعيش أهل العالم بمقتضاها.

أما أنتم فلكم فكري الخاص. كل ما للآب هو لي وقد أعطيتكم كل ما لي. عِشْ إذاً بهذا الفكر. كل الخير الذي أستودعه فيك هو لحساب الكل. وكل مواهب أخيك هى لك. هى شركة في جسد واحد. كلما يُكرم عضو تفرح باقي الأعضاء.

ظهورات متعددة.

ثم أن الرب ظل يظهر لنا مدة أربعين يوماً يتكلم معنا عن أسرار الملكوت.. كشفها كلها لنا واستودعها خزانة قلوبنا حتى إذا ما ذهبنا نكرز ببشارة الملكوت يكون ملكوته وأسرار ملكوته داخلنا. وبعد الأربعين يوماً من قيامته أخرجنا خارج القرية ووضع يديه علينا وباركنا وفيما هو يباركنا انفرد عنا ثم ابتدأ يرتفع رويداً رويداً ونحن شاخصون إليه حتى أخذته سحابة عن أعيننا صرنا في دهشة وشبه ذهول، ثم أرسل إلينا

ملاكين من السماء وقَالاَ: "أَيُّهَا الرِّجَالُ الْجَلِيلِيُّونَ، مَا بَالُكُمْ وَاقِفِينَ تَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ؟ إِنَّ يَسُوعَ هذَا الَّذِي ارْتَفَعَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ سَيَأْتِي هكَذَا كَمَا رَأَيْتُمُوهُ مُنْطَلِقًا إِلَى السَّمَاءِ".

يا للعجب لم نحزن عندما فارقنا هذه المرة، بل منظره وهو صاعد إلى السماء رفع أفكارنا عالياً حتى صار كنزنا (المسيح) في السماء. صارت السموات وطننا؛ وسيرتنا فيها؛ وهدفنا أن نوصل كل إنسان ونحضره كاملاً في المسيح يسوع. توطّد إيماننا بالمسيح ابن الله الحي الكائن والذي كان والذي سيأتي ثانية وهو مالئ الكل بلاهوته.

رجعنا إلى العُليَّة والفرح يغمرنا جميعاً. سجدنا وصلينا وأحسسنا بالقلب الواحد والحب والفرح والنور. إنها حياة جديدة بأكملها. قلت لإخوتي الرسل: الآن علمنا تدبير المسيح من اختيارنا كاثنى عشر سبط جديد لبنيان كنيسته التي هى جسده. وهذا الأمر يُدرك بالروح في البشرية الجديدة والخليقة الجديدة. وقد عَلِمت أننا سنخرج إلى العالم نكرز بملكوت الله ونثمر للروح ونلد شعباً جديداً غيوراً في أعمال صالحة وحائزاً على نعمة البنوة. فالأمر ليس عدداً بقدر ما هو كيان وأساسات بنيان ملكوت الله.

والآن وقد خان واحد منا خيانة عظمى وسلَّم نفسه للشيطان وروح الظلمة وأحب المال أكثر من المسيح وكملت فيه نبوات ونبوات أن تكون داره خراباً ولا يسكنها ساكن ويُقطَع اسمه في جيل واحد وكمل فيه كلام

يسوع أنه كان خير له لو لم يُولَدَ. فالآن يجب أن نختار واحداً عوضاً عن يهوذا يكون شاهداً بموت الرب وقيامته وملتصقاً بالمسيح منذ معرفتنا به ودخوله وخروجه ليأخذ قرعة الخائن ويذهب إلى أسقفيته التي يرسله الروح إليها. فاختاروا رجلين فيهما هذه المواصفات "ثُمَّ أَلْقَوْا قُرْعَتَهُمْ، فَوَقَعَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى مَتِّيَاسَ، فَحُسِبَ مَعَ الأَحَدَ عَشَرَ رَسُولاً".

لا تبرحوا أورشليم.

كانت وصية الرب لنا أن لا نتحرك من أنفسنا، بل نمكث في أورشليم في انتظار الروح المعزِّي.. روح الآب وروح المسيح، المنبثق من الآب والحال في الابن، روح الله.. روح النعمة والتعزيات، روح النبوة والقداسة والسلطان. كم كنا متلهفين متشوقين أن نلبس هذه القوة من السماء. قد سمعنا كثيراً من المسيح عن ملء الروح ولم نكن نختبره بعد. والشوق هذا دفعنا إلى مواظبة الصلاة بحرارة وطلبة وسؤال الليل والنهار، باتضاع عظيم كنا نتوسل وقد حرصنا أن نحيا معاً ونصلي معاً ونأكل معاً.

اختبار جديد

مارسنا المحبة كما أرادها المسيح لنا وصارت كالطيب المسكوب على رأس المسيح (رئيس الكهنة) يمسح الكل ويعطِّر حياتنا بعطر الروح. ما أحلاها أيام قضيناها في الانتظار والترقب! لسنا نعرف وقتاً ولا كم يمر من الزمان حتى يحقق المسيح وعده وظللنا هكذا إلى كمال يوم الخمسين.

وفيما كنا نصلي في هذا اليوم العظيم، وكانت هذه السنة هى سنة اليوبيل التي يُحرَّر فيها كل الأملاك والعبيد، الكل يُطلق حراً وينسى حياة العبودية وذُل العبودية.. وكان يُقدم في هذا اليوم أول حزمة من الحصاد. فهمنا كل ذلك.. فها رياح الحرية الروحية الداخلية تهب. وها الحقول ابيضت للحصاد وها هى باكورة الحصاد. هذا هو اليوم المقبول وسنة الرب التي فيها كمال الخلاص.

فعلاً هبت حولنا وفينا هذه الريح (الروح) العاصف. وفعلاً تسمع صوتها ولا تعلم من أين تأتي وإلى أين تذهب. هبَّ الريح حيث شاء وفي الوقت الذي عيّنه لمجدنا قبل الدهور. وانفتحت السماء وإذا ألسنة نار انقسمت وتوزعت على كل واحد منا.. ليست ناراً للحريق بل للخليقة الجديدة. هذه هى النار الذي جاء المسيح ليلقيها على الأرض (البشرية الترابية) ولا يريد لها إلاَّ أن تضطرم.

سكنت فينا وحلت علينا نعمة فائقة للوصف. ونظرت إلى المجتمعين وكنا نحو مئة وعشرين اسماً. وكانت الأم العذراء مريم في وسطنا حين قبلنا هذه النعمة. كان وجودها في وسطنا يشعرنا بأمان غريب وكنا كأطفالها.. ما أجمل حبها وحنانها هى الوحيدة في وسطنا التي كانت تعرف معنى الامتلاء من الروح القدس كنا نسمع عنه سماع الأذن، أما هى فمن يوم بشرها الملاك بميلاد المخلص فقد حل عليها الروح القدس وقوة العلي ظللتها وامتلأت من الروح وعاشت به فريدة فيما نالته. لم يحظَ ملاك ولا رئيس ملائكة بما حظت به وعاشته. ألم يسكن ابن الله الكلمة في أحشائها تسعة أشهر كاملة. ألم يأخذ ناسوته من جسدها الطاهر، ألم تُرضِعه وهو صغير حتى كبر. إنه كان ينمو كما ينمو أي طفل من لبن أمه!! هذه أسرار كنا نتفكر فيها وفهمنا ذلك بعدما امتلأنا من الروح الذي أنار لنا الحياة والخلود لأن الروح يفحص حتى أعماق الله.. وهذا هو العجب كله.

يوم ميلاد البشرية الجديد.

رأيت الرسل أحبائي وقد نزلنا إلى قرب الهيكل وكان يوم عيد الخمسين وزحام شعوب كثيرة جاءوا من كل أمة تحت السماء لكي يعيِّدوا ويذبحوا في أورشليم.. إنهم يهود الشتات كما كنا نسميهم. رأيت الرسل بعدما قبلوا ألسنة النار.. رأيت عجباً إنهم يتكلمون بلغات كل الشعوب.

يا سيدي: هؤلاء الذين اخترتهم من بسطاء الناس هكذا ملأتهم من

كل فهم وكل حكمة روحية.. مَنْ علّمهم في الحال هذه اللغات التي لم يعرفوها من قَبْل ولا سمعوا عنها؟ آه إنه الروح الذي يُقسِّم المواهب ويعطي الحياة لأنه كنز الخيرات وهل يعسر عليه أمر؟!

لما سمع الجمع الواقف تجمعوا بالأكثر وكانوا يندهشون أيَّما دهشة عند سماع لغات بلادهم التي أتوا منها. حوالي ١٤ لغة كان الرسل ينطقون بها. والبعض تسمّر في مكانه في دهشة واستغراب. وحرك الشيطان آخرين ليقولوا إن هؤلاء سكارى يهذون.

وجدت قلبي يمتلئ بغيرة إلهية للشهادة للمسيح.. فيضان روحي قوي داخلي روحي مؤازر بنعمة وقوة لم أشعر بهما في حياتي. فتحت فمي ليتكلم من فيض قلبي وملئي.

قلت للواقفين: "أيها الرجال إخوتي لا تصدقوا كل روح. فالذي يقول إن هؤلاء سكارى هو روح ضلال وليس حق. لأنها الساعة التاسعة صباحاً فهل يشربون خمراً في الصباح الباكر؟ ولكن هذا روح الله سكبه على البشرية وهذه هى العينة التي اختارها الله في المسيح الذي صُلِبَ بجسدنا وقتل العداوة والخطية.

هذا هو يسوع القائم من الأموات الذي لم يرَ فساد الموتى ولا أُمسِكَ في القبر من الموت. هذا هو رب الحياة. هذا هو وعد الله بالخلاص والحياة الأبدية والمسيح. والآن: " تُوبُوا وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِغُفْرَانِ الْخَطَايَا "وتنالوا هذا الموعد الذي هو روح الله

وحلوله في الإنسان ليخلق منه خليقة جديدة كأبناء الله بعد ما كنا أبناء الغضب وأبناء المعصية".

كان الكلام نارياً ممسوحاً بالروح الناري. لم يكن كلاماً مرتباً بوعي العقل. فلم أكن من قَبل صاحب كلام. بل كان من فيض الروح وكان الروح يزرع الكلمة في قلوب السامعين. وجدت جمهوراً من السامعين يقبلون الكلام بفرح ويعلنون إيمانهم بالرب يسوع المسيح ابن الله الحي. وقالوا: ماذا نفعل؟

بدأنا من أول ساعة لحلول الروح بجذب الشبكة.. لم يكن فيها هذه المرة ١٥٣ سمكة كبيرة. بل كصياد للناس كوعد المسيح وُجد في أول شبكة ثلاثة آلاف نفس.. يا إلهي ومع هذه الكثرة لم تتخرق الشبكة. صرت في دهشة عظيمة.. يا سيد في يوم الخمسين هذه أول حزمة للحصاد أُقدِّمها لك لتُبارك. أنا أعلم أنك أرسلتني لأحصد ما لم أتعب فيه، آخرون زرعوا بالدموع وها نحن نحصد بالابتهاج.. أشكر نعمتك يا إلهي.

اعتمد هؤلاء أجمعون بِاسم الرب يسوع. اعتمدوا بِاسم الآب والابن والروح القدس. وبدأت أعضاء المسيح تظهر في العالم وهم ليسوا من العالم. امتلأ الجميع من الفرح.. فرح شديد برجوع هذه النفوس الغالية إلى الله. وقبولهم الإيمان بيسوع المسيح مُخلِّص العالم.

كنت أنظر إلى كل واحد منهم وقد حلَّت عليه نعمة الله. والذين

اعتمدوا، أحسست بأحاسيس عجيبة نحوَّهم، قلبي يحبهم كأنهم من لحمي ومن عظامي وإن كانت لا تربطني بهم قرابة جسدية ولكن قرابة الروح القدس الذي يوحِّد القريبين والبعيدين صيَّرنا جميعاً أعضاءً في جسد المسيح الواحد. هكذا كان خبر الإيمان وبالأكثر خبرة الإيمان تنتشر بسرعة كنار ألقاها الرب على الأرض وها هى تضطرم. هؤلاء كانوا يواظبون على تعليم الرسل. كل يوم يزدادون في المعرفة والحكمة وكانوا يحيون حياة الشركة في الروح ومع بعضهم البعض. وكانوا يشتركون في سر الشكر الذي هو جسد ودم عمانوئيل.

سلوك الجماعة الأولى.

بتلقائية عجيبة بدأوا يبيعون أملاكهم وحقولهم ويتخلون عن الملكيات. لم يقل لهم أحد من الرسل شيئاً مثل هذا. بل كان هذا فعل الروح. وكان كل واحد منهم يقول للمخلص بطريقة عملية قاطعة: "هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ". فأتوا بأثمان الممتلكات التي باعوها ووضعوها تحت أقدامنا.. وكان كل واحد يأخذ بقدر احتياجه.. فلم يكن أحد منهم محتاجاً، كأنهم الشعب القديم عندما أعطاهم المنّ في البرية للشبع.. "لَمْ يُفْضِلِ الْمُكَثِّرُ وَالْمُقَلِّلُ لَمْ يُنْقِصْ". كان الكل يشعرون بالكفاية والشبع. سقط العالم وكل ما فيه من قلبهم إذ امتلك الرب قلب كل واحد. فصار للجميع قلب واحد هو قلب يسوع.

الرجل المقعد

قلت ليوحنا في يوم من الأيام.. أنا صاعد إلى الهيكل لأصلى.. كان وقت الساعة التاسعة (الثالثة عصراً) فقال.. آتي معك.. ذهبنا سوياً. ولما اقتربنا إلى بَابِ الْهَيْكَلِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ «الْجَمِيلُ». وكنا نتحدث ونتعجب من عمل النعمة الغزيرة في أيام قليلة والآيات والعجائب التي كانت تُجرى كل يوم على أيدي إخوتنا الرسل.

كان يجلس عند باب الهيكل "رَجُلٌ أَعْرَجُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ". كانوا كل يوم يحملونه ويضعونه عند باب الهيكل يطلب صدقة من الداخلين إلى الهيكل. فلما اقتربنا من الباب مد الرجل يده يطلب إحساناً. وقال.. أعطوني شيئاً من أجل الله. فنظرت إليه ملياً وقلت للرجل.. "انْظُرْ إِلَيْنَا!". فالرجل المسكين فرح وانتظر أن نخرج له شيئاً من المال. وساعتها لم أكن أحمل كيساً ولا مزوداً كأمر يسوع. ولا حتى العملة النحاسية التي هى أصغر عملة كالمليم.

فلما رأيت الرجل شاخصاً إلينا قلت له: "لَيْسَ لِي فِضَّةٌ وَلاَ ذَهَبٌ"، أنا فقير والذي أرسلني جردني من هذه الأمور. ولكن عندي شيئاً آخر أكرم وأثمن وأغلى من الدنيا كلها.. فها أنا أعطيك ما عندي. ثم قلت للرجل:

"بِاسْم يَسُوعَ الْمَسِيح النَّاصرِيّ قُمْ وَامْشِ!".

هذا هو الاسم الذي أخرجنا به الشياطين وهذا هو اسم الخلاص " ولَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلاَصُ. لأَنْ لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ، قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ، بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ".

قلتها للرجل بثقة الإيمان الكامل.. كنت كمَنْ أخذ من يد يسوع لأعطي الجائعين كمعجزة إشباع الجموع.

يا للعجب.. يا للعجب.. ما كدت أنطق بهذه الكلمات حتى سرت قوة هائلة في جسد ذلك الكسيح. أمسكت الرجل بيدي وأحسست بقوة عجيبة تجتاز إلى الرجل. ساقاه المشلولتان والضامرتان دبت فيهما الحياة. والرِّجْل اليابسة صارت حية ملأها الروح لحماً وعضلات. والكعبان اللذان لم يلمسا الأرض قط للمشي تشددتا في الحال فوقف الرجل صحيحاً

كأنه لم يكن أبداً مريضاً أو مشلولاً. صار الرجل يقفز من الفرح ويصيح بكل قوته يسبّح الله ويمجد اسم يسوع الذي صارت له هذه الصحة بِاسمه المبارك. دخلنا الهيكل.. ودخل معنا الرجل وهو يقفز على رجليه يسبح. شيء مذهل للغاية.. أدركت بالروح أن النبوات عن زمن المسيا وخلاصه الذي كتبه إشعياء قبل سبعمئة سنة ها نحن نعيش كمالها. إذ قال: " حِينَئِذٍ تَتَفَقَّحُ عُيُونُ الْعُمْيِ،... وَحِينَئِذٍ يَقْفِزُ الأَعْرَجُ كَالإِيَّلِ (الغزال) وَيَتَرَنَّم.. ". كم مجدت الله في داخلي الصانع العجائب وحده.

كان الرجل معروفاً لجميع الداخلين إلى الهيكل إذ كان منذ طفولته يجلس يستعطي، فله زمان طويل ـــــ أربعون سنة ـــــ يا ربي ومخلصي. عرفه جميع الناس في الهيكل، لم تتغير هيئته ولا منظره كمثل الرجل المولود أعمى الذي شفاه يسوع. وحصلت أيامه منازعة بين من يقول إنه هو ومن يقول إنه يشبهه. أما هذا الرجل فمعروف جداً

لا يحتاج الأمر إلى جدال. اجتمع الناس حولنا بالمئات. كل من يسمع الرجل يصيح وكل من يراه يقفز يُصاب بدهشة فائقة لا يكاد يصدق ما يراه.

كان الرجل متمسكاً بنا لا يريد أن يتركنا. فقد نال بِاسم يسوع ما نال فليأخذ ما ناله ويذهب!! لكن لا.. كان متشبثاً بنا لا يريد أن يتركنا. وجدت الروح يدفعني دفعاً إلى تبشير

هذه الجموع. ففتحت فمي وقلت: "أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ، مَا بَالُكُمْ تَتَعَجَّبُونَ مِنْ هَذَا؟ ولِمَاذَا تَشْخَصُونَ إِلَيْنَا، كَأَنَّنَا بِقُوَّتِنَا أو تَقْوَانَا قَدْ جَعَلْنَا هذَا يَمْشِي؟".

وبدأت أكرز لهم بيسوع المسيح واسمه المبارك وأنير بصائرهم إلى النبوات وأشجعهم ليقبلوا الإيمان وأنهم بجهل رفضوا المسيح وصلبوه. ولكن قلب المسيح الغفور ودمه المسفوك يمحو الخطايا والآثام. "فَتُوبُوا وَارْجِعُوا لِتُمْحَى خَطَايَاكُمْ". وارجعوا إلى الرب القائم من الأموات الواهب الحياة. فآمن كثيرون ورجعوا إلى الرب.. مئات بل ألوف.. فمجدنا المسيح.

في السجن

بينما أنا ويوحنا نُكَلِّم الجمهور الغفير أقبل إلينا الكهنة وقائد جند الهيكل وهم متضجرون من كرازتنا بِاسم يسوع وقيامته من الأموات. قبضوا علينا وأودعونا السجن إلى الغد لأن الوقت قد أمسى. ولأول مرة أعرف ما هو السجن.. كيف يقيد الإنسان ويفقد حريته!! تذكرت كلام يسوع أننا سَنُحبَس ونُهان لأجل اسمه فامتلأت فرحاً لأن هذه المواعيد عظمى وثمينة. قيود الجسد أو الحبس لم تشغلنا عما صنعه الرب بنا في نهار هذا اليوم. أنظر

إلى الإيمان الذي يقبله الآلاف والفرح الذي يغشى النفوس التي تتمتع بخلاص المسيح.. إن اسم يسوع يتعظم كل يوم.

لم أشعر بضيق في السجن.. بل لم أشعر أني مسجون.. شيء عجيب كان الرب قد أنعم عليَّ بالحرية الداخلية في الروح.. فلم أعد أُستعبد لشيء.. هذه حرية مجد أولاد الله. كقول يسوع: "فَإِنْ حَرَّرَكُمُ الابْنُ فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَارًا". انقضى الليل بسرعة فائقة قضيناه في التسبيح والتمجيد وإذ صار النهار أتى الجند وأخذونا إلى الهيكل حيث أدخلونا إلى اجتماع كبير جمع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب والكتبة..

أقامونا في الوسط.. شعرت بنعمة عظيمة وشرف لا استحقه.. من أنا حتى أقف أمام هذا الجمع كله بما له من سلطان وأشهد لاسم يسوع المسيح ملكي وإلهي؟! يا سيدي هذا شرف عظيم أن أكون شاهداً لك ولعمل نعمتك.

وجَّهوا إلينا السؤال الآتي: "بِأَيَّةِ قُوَّةٍ وَبِأَيِّ اسْمٍ صَنَعْتُمَا أَنْتُمَا هذَا؟" إذاً هم متأكدون من الآية لا يقدرون أن ينكروا. ويعلمون تماماً أننا صنعنا هذه الآية بقوة الروح القدس وباسم يسوع المسيح!! لكن إن كانوا يعلمون هذا جيداً فلماذا السؤال إذاً؟

على أية حال وجدت قوة إلهية تسري في كياني عندما سمعت هذا

السؤال وشعرت أنني امتلأت بالروح وصار في باطني كأنهار ماء حية تتدفق بأعجوبة. ففتحت فمي وقلت: "يَا رُؤَسَاءَ الشَّعْبِ وَشُيُوخَ إِسْرَائِيلَ، إِنْ كُنَّا نُفْحَصُ اليَوْمَ عَنْ إِحْسَانٍ إِلَى إِنسَانٍ سَقِيمٍ، بِمَاذَا شُفِيَ هذا، فَلْيَكُنْ مَعْلُومًا عِنْدَ جَمِيعِكُمْ وجَمِيعِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ، أَنَّهُ بِاسْمِ يَسُوعَ المَسِيحِ النَّاصِرِيِّ، الذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمُ، الذِي أَقَامَهُ اللهُ مِنَ الأَمْوَاتِ".

يا سيدي.. ما هذه الحكمة التي أعطيتني وأنا عديم العلم وعامّي قليل المعرفة.

فنحن نُفحص ونُحاكم من أجل آية شفاء معجزية وإحسان قُدِّم لإنسان بائس، وليس عن جريمة ولا عن تجديف نُحاكم، بل من أجل عمل إلهي!!

هذه الحكمة يا سيدي هى نازلة من فوق ليست بشرية بحال من الأحوال. والشهادة لاسم يسوع وقيامته هى ركيزة الإيمان وهيِ هيِ الحياة بعينها. فلم أعد أعرف الحياة إلاَّ في المسيح الذي به أحيا وأتحرك وأوجَد.

ثم أكملت حديثي قائلاً: "هذَا هُوَ: الْحَجَرُ الَّذِي احْتَقَرْتُمُوهُ أَيُّهَا الْبَنَّاؤُونَ، الَّذِي صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ. وَلَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلاَصُ. لأَنْ لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ، قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ، بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ" ألا وهو اسم يسوع.

صار سكوت عظيم في المجمع وبدت على وجوه الجميع بلا استثناء علامات الحيرة والوجوم. سكوت كأنه سكون الموت. دوت كلمات الروح النارية وعصفت بهم أيما عاصف. ولكنهم دائماً يقاومون الروح القدس كما كان أباؤهم أيضاً.

كان الرجل الذي صارت فيه آية الشفاء يقف بجانبنا كأنه يُحاكم هو الآخر. والرجل مسكين وصامت ولكني نظرت في عينيه فإذا إيمان ثابت وفرح لا يُنطق به ومجيد. صار الجميع ينظرون إلينا وأنا ويوحنا صامتان. ثم يحولون نظرهم إلى الرجل الذي كان أعرج من بطن أمه لأكثر من أربعين سنة وهو يقف أمام الجميع كشاهد إثبات حي لعمل نعمة الله.

بماذا يجاوبون؟! أو بماذا يشتكون؟! هل يقدرون أن ينكروا؟! ألم يتآمروا من قبل على قتل لعازر حبيب الرب إذ أقامه من الأموات؟! مساكين بالحق قد أعماهم رئيس هذا الدهر عن الحق. ساد هذا الصمت مدة من الزمان. ثم أمال أحد رؤساء الكهنة رأسه نحو الجالس بجانبه وتهامسا كمن يتداولان في الأمر ثم أومآوا إلى بعض منهم بإشارات كأنها مؤامرة تعمل في ظلام القلب وظلام الفكر. ثم بعد لحظات أشار رئيس الكهنة إلى الجند فأخرجونا خارج القاعة. انتظرنا في الخارج إلى أن

دعونا مرة أخرى.

دخلنا ووقفنا كما في البداية. قال رئيس الكهنة: لو عُدتما إلى التعليم بهذا الاسم سوف لا تعرفان أي مصير يكون لكما. وأنتما تجلبان علينا دم هذا الإنسان ونحن أبرياء.. فإياكما أن تتكلما وتُعلِّما بهذا التعليم. هذا إنذار لكما ولكن إن لم تطيعا فسوف تُعاقبان عقاباً مريراً. قالوا هذا بلهجة التهديد والوعيد بكل جفاء وسلطان وسطوة. ونبرة الأمر كملوك الأرض ورؤسائهم.

وجدت نفسي مؤازراً بقوة في الباطن فتكلمت ولم أتردد بقوة ليست من هذا العالم بشجاعة واتضاع في آن واحد: "إِنْ كَانَ حَقًّا أَمَامَ اللهِ أَنْ نَسْمَعَ لَكُمْ أَكْثَرَ مِنَ اللهِ، فَاحْكُمُوا". الكلام الذي نتكلم به كأقوال الله. والآية التي صنعناها فيه هي بقوة الله. فهل نطيع الروح العامل فينا أو نخضع لأوامركم ضد روح الله؟! سكتوا مرة أخرى.. كتموا الغيظ.. شعروا بهزيمة مُريعة. ولكن تمالك رئيس الكهنة نفسه بمكر أصفر وحقد دفين وعاد يكرر ذات عبارات التهديد. فرددت عليه على الفور وقلت: "نَحْنُ لاَ يُمْكِنُنَا أَنْ لاَ نَتَكَلَّمَ بِمَا رَأَيْنَا وَسَمِعْنَا".

في الحقيقة نحن مجرد شهود ليسوع في كل ما علَّم وتكلم وعمل. فهل نكذب وننكر ما رأينا. سمعنا تعليمه الإلهي وشريعة الحب حتى للأعداء فهل ننسى؟ ورأينا العُميّ يُبصرون والبُرَّص يتطهرون والعَرج

يمشون.. والأموات يقومون والشياطين يخرجون. ورأينا "آيات كَثِيرَةٌ صَنَعَهَا يَسُوعُ، إِنْ كُتِبَتْ وَاحِدَةً وَاحِدَةً، فَلَسْتُ أَظُنُّ أَنَّ الْعَالَمَ نَفْسَهُ يَسَعُ الْكُتُبَ الْمَكْتُوبَةَ". ورأيناه قائماً من الأموات وأكلنا وشربنا معه بعد قيامته. هل نسكت على كل هذا ونصمت لمجرد كلام الذين صلبوه؟ حاشا.. فنحن شهود أمناء وما رأيناه وسمعناه سنتكلم به جهاراً ليس لليهود فقط بل لكل العالم أيضاً.

أشار رئيس الكهنة إلى الجند.. أخرجونا خارج المجمع.. إلى خارج الهيكل.. إلى الشارع. قالوا لنا: أنتما حرّان. لا توجد عليكما شكوى ولا يقدر أحد أن يعاقبكما لأنكما لم تفعلا شراً. رأيت خارجاً جمهوراً كبيراً من الناس ينتظرون. فلما رأونا صار صراخ وتسبيح وحمد وشكر وجرت دموع على وجوه كثيرة وإزداد رجاء وإيمان الكثيرين. ذهبنا لتونا إلى باقي إخوتنا الذين كانوا يؤازروننا بالصلاة طيلة الليل حتى الصباح. فهذه هى خبرتهم وخبرتنا الأولى. والروح الناري الذي انسكب علينا أجمعين كان يشعل القلوب بحب يسوع. فلما رأونا مجَّدوا الله وفرحوا فرحاً عظيماً. فأشرنا لهم فسكتوا فحدثتهم بكل ما جرى وبالأكثر عن نعمة الله وعمله العجيب.

فبعدما سمعوا بإنصات شديد تحول الأمر إلى صلاة عميقة بقلب واحد ونفس واحدة بحرارة وشكر وطلب قائلين.. "الآنَ يَارَبُّ، انْظُرْ إِلَى تَهْدِيدَاتِهِمْ، وَامْنَحْ عَبِيدَكَ أَنْ يَتَكَلَّمُوا بِكَلاَمِكَ بِكُلِّ مُجَاهَرَةٍ، بِمَدِّ يَدِكَ

لِلشِّفَاءِ، وَلْتُجْرَ آيَاتٌ وَعَجَائِبُ بِاسْمِ فَتَاكَ الْقُدُّوسِ يَسُوعَ". سكبوا أنفسهم ككنيسة مجتمعة ترفع صلاتها بِاسم يسوع إلى أبيه الصالح بالروح القدس.. إنها أقدس صلاة.

ويا للعجب لما صلينا حدث أمر كأنه زلزلة.. "تَزَعْزَعَ الْمَكَانُ". يا لاقتدار الصلاة ويا لقوة الصلاة بالروح. إنها لا تزعزع المكان فقط بل تزعزع أركان مملكة إبليس وتهز كل كيان سلطان الظلمة.

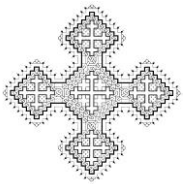

حنانيا وسفيرة

كانت حركة التخلي عن كل ما في هذا العالم الزائل بسبب الفرح الذي ملك على كل قلب، كانت الحركة تزداد كل يوم.. كل من كان له مِلك أو حقل.. كان يبيع بجرأة وشجاعة وكأنها حركة مقايضة الأرضيات بالسمائيات. على أن أحداً من الرسل ما كان يقول لأحد بع مالك. ولكنها تبعية لروح المسيح الذي قال للشاب الغني: "يُعْوِزُكَ شَيْءٌ وَاحِدٌ: اِذْهَبْ بِعْ كُلَّ مَا لَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وتَعَالَ اتْبَعْنِي حَامِلاً الصَّلِيبَ". هكذا سرى هذا الروح في جميع المؤمنين.

كان بين الذين آمنوا رجل اسمه حنانيا وامرأته سفيرة. لمَّا نظرا أن جميع المؤمنين كان لهم قلب واحد ونفس واحدة وإنهم يتخلون عن أملاكهم. هما أيضاً كان لهما حقل فباعاه. وبينما نحن مجتمعون دخل الرجل حنانيا ومعه كيس نقود وضعه عند قدمي كما يفعل الجميع. إذ لم تكن الأموال تشغل بال أحد فكانوا يضعونها عند الأرجل كعلامة لحقارة المال ودليل ما بعده دليل على عدم حب المال أو التعلق به. وهكذا كان كل واحد يأخذ بحسب احتياجه بشكر. فلما صنع حنانيا هكذا وقبل أن يأخذ مكانه ليجلس شعرت بشعور غريب حين نظرت

إليه. لم تكن النعمة تشرق على وجهه كالمعتاد. وشعرت في ذاتي أن روحاً غريباً، روح ظلمة قد اقتحم قلب الرجل. وشعرت بالروح أن هناك كذباً وسلوكاً ملتوياً هذه بادرة خطيرة. كيف يدخل إلى الكيان النقي والقطيع الطاهر عنصر الظلمة والكذب.. إن الشيطان كذاب وأبو الكذاب وكنيسة المسيح التي اقتناها بدمه وغسلها مطهراً إياها. لا يكون فيها شيء دنس أو نجس أو يمتزج بها الكذب ولا الكذاب.

قلت له بكل سلطان الروح: "يَا حَنَانِيَّا، لِمَاذَا مَلأَ الشَّيْطَانُ قَلْبَكَ لِتَكْذِبَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ وَتَخْتَلِسَ مِنْ ثَمَنِ الْحقْلِ؟ أَلَيْسَ وهو بَاق كَانَ يَبقَى لَكَ؟ ولَمَّا بِيعَ، أَلَمْ يَكُنْ فِي سُلْطَانِكَ؟ فَمَا بَالُكَ وَضَعْتَ فِي قَلْبِكَ هذا الأَمْرَ؟ أَنْتَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَى النَّاسِ بل علَى اللهِ. فَلَمَّا سَمِعَ حَنَانِيَّا هذا الكَلاَمَ وقَعَ ومَاتَ".

رحماك يا سيدي.. ها إن الروح يفحص كل شيء ويُمحص كل شيء. لم يغصبه أحد أن يبيع ولم يجبره أحد أن يعطي.. فالعطاء اختياري بكل المقاييس. والرب غير محتاج إلى عطايا ولا كنيسته المملوءة غنى. أما السلوك برياء فلماذا؟ هل ليأخذ أجرة من الناس؟ لماذا ملأ الشيطان قلبه؟! ولماذا الكذب؟ كيف يحيا في وسط جماعة الله وفيه هذه الخيانة؟

ذكَّرني هذا الموقف بعاخان ابن كرمي الذي أخذ من الحرام وخبأه

ظاناً في نفسه أن أحداً لم يره. ولكن عين الرب تكشف المستورات ومكنون القلوب ويفحص الكلى وكل شيء أمامه مكشوف وعريان. تأسفت لموت حنانيا.. لماذا يحرم نفسه بنفسه ولماذا يعمل في الظلام والمفروض أن يكون من أبناء النور؟! بعد ذلك قام الشباب وحملوا حنانيا ولفوه ودفنوه.

ثم بعد ثلاث ساعات دخلت سفيرة ولم تكن قد سمعت ما جرى لزوجها فبادرتها بالسؤال: "قُولِي لِي: أَبِهذَا الْمِقْدَارِ بِعْتُمَا الْحَقْلَ؟" فأجابت على الفور وبدون تفكير: "نَعَمْ، بِهذَا الْمِقْدَارِ". قلت لها: "مَا بَالُكُمَا اتَّفَقْتُمَا عَلَى تَجْرِبَةِ رُوحِ الرَّبِّ؟ هُوَذَا أَرْجُلُ الَّذِينَ دَفَنُوا رَجُلَكِ عَلَى الْبَابِ، وَسَيَحْمِلُونَكِ خَارِجًا. فَوَقَعَتْ فِي الْحَالِ عِنْدَ رِجْلَيَّ وَمَاتَتْ. فَدَخَلَ الشَّبَابُ وَوَجَدُوهَا مَيْتَةً، فَحَمَلُوهَا خَارِجاً وَدَفَنُوهَا بِجَانِبِ رَجُلِهَا".

كأن الروح حريص على نقاوة الكنيسة من الخطية والخطاة. فعزل الخبث والكذب وأخرجهما خارجاً. ولم يَعُدْ نصيب لِمَنْ سلّموا نفسهم لروح الظلمة أن يعاشروا بني النور، وقد انكشف الأمر أمام الكنيسة أن لا شركة للظلام مع النور ولا للمسيح مع بليعال. وقد صار معلوماً أن مؤامرة دبرها الشيطان لكي يندسُّ بإسلوبه المخادع في وسط الكنيسة.

كانا حنانيا وسفيرة قد اتفقا فيما بينهما أن يكذبا. وأن يتظاهرا أنهما كالباقين باعا وأعطيا وتخليا عن العالم وفي ذات

الوقت احتاطا للمستقبل لأن الشيطان جعل في قلبيهما أفكاراً نجسة. لماذا لا تعملان حساب المستقبل؟ ربما لا تدوم هذه الجماعة أو تُنقض أو تُضطهد فتتراجع وينتهي كل شيء. فلماذا لا نعمل لأنفسنا خط رجعة؟

وهل من يرانا؟ وهل من يعلم سرنا؟ إن الشيطان خداع يُشكِّك في كل ما هو حق. ومسكين مَنْ يسلم ذاته له.. إنه لا يرحم.

كان استعلان الحق في حادثة حنانيا وسفيرة بمثابة الدرس الأول القوي جداً في كنيسة الله. إن الروح يفحص كل شيء وليس شيء مخفياً. وإن السلوك بقلبين وبرياء سيُفضح وينال جزاءه. فصار خوف في الكنيسة كلها.

سكن خوف الله في كل قلب. فكانوا يحيون في السر كما في العلن بذات القلب الواحد. وأدركوا أن كنيسة الله كمثل السماء على الأرض لا يدخلها شيء دنس أو نجس ولا كل من يحب الكذب.

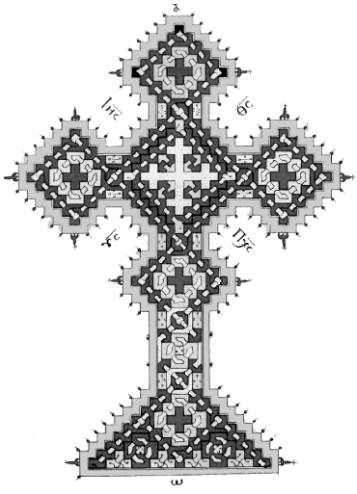

أعمال مجيدة

ما أعظم جود المسيح وما أكثر النعم التي أعطاها لنا بكل حكمة وفطنة، فيض النعم كان لا يُعبَّر عنه. لم أتصور يوماً أن الرب يعمل كمثل ما رأيت. لم يخطر على بالي أن يكون هذا. كانوا من جميع المدن حول أورشليم يأتون بمرضى من كل نوع وكانت قوة الرب لشفائهم جميعاً وأجرى الرب على أيدي الرسل قوات غير المعتادة. شيء لا يصدقه العقل.

تصور حتى الخيال والظل الذي ما كان أحد من الناس يؤمن به فإنه لو خيَّم ظلي على أحد المرضى فإنه في الحال يبرأ. هكذا بلغ الإيمان بالناس. ولم يكن اسم يسوع يفارق قلبي ولساني. فكنت قد انحزت كلية للمسيح وأحسست بأنه ملكي وإلهي الذي امتلكني فصرت له.

هكذا كان الرب يصنع بي. ليس بكلامي أو وضع يدي فقط بل حتى بظلي. فكنت أمتلئ فرحاً وتسبيحاً وأُرجع الفضل لصلب المسيح وقيامته وعمل نعمته العاملة فيَّ. لأني أنا ما أنا ولكن نعمة الله التي معي.

زاد حقد رؤساء الكهنة وحنقهم هم وشيوخ الشعب والكتبة والفريسيين وجماعة الصدوقيين الأغنياء من مال الظلم. زاد حقدهم من كثرة سماعهم عن الآيات والعجائب والكرازة بِاسم يسوع التي كانت تُجرى

بنعمة عجيبة. وضاق صدرهم من هذه الكرازة بِاسم يسوع.. لقد قتلوه معلقين إياه على خشبة فهل ما زال يحيا؟! لقد هالهم هذا الانتشار السريع.

لم يكن بالطبع عملاً بشرياً. وكنت أدرك ذلك تماماً.. أليس هو الروح الناري وعمله في القلوب. فأنا ما أنا ولكن نعمة الله التي معي. أليس هو الذي يضع الكلمات في فمي ثم يحرك القلوب وينخس الضمائر ويجذب المختارين المُعيَّنين للإيمان. نحن فقط الآن آلات طيِّعه في يد روح الله لكي نشهد ليسوع المسيح ابن الآب بالحق والمحبة الذي مات من أجل خطايانا وقام لأجل تبريرنا.

وفجأة ونحن داخل الهيكل نتكلم بِاسم يسوع.. إذا بجند الهيكل يقبضون علينا بلا كلام وساقونا إلى السجن. تذكرنا كلام الرب جيداً: " وَتَكُونُونَ مُبْغَضِينَ مِنَ الْجَمِيعِ مِنْ أَجْلِ اسْمِي". التهمة إذاً تهمة اسم وتذكرت جداً تكملة كلامه: "ولكِنَّ شَعْرَةً مِنْ رُؤُوسِكُمْ لاَ تَهْلِكُ" وقوله.. "لا تَهْتَمُّوا كَيْفَ أَوْ بِمَا تَتَكَلَّمُونَ، لأَنَّكُمْ تُعْطَوْنَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مَا تَتَكَلَّمُونَ بِهِ".

ذهبنا معهم طبعاً دون أدنى مقاومة. كان منظر الرب وهم يلقون عليه الأيادي ماثلاً أمامي بكل التفاصيل. فلم يضطرب قلبي ولو إلى لحظة وقارنت كيف كنت ساعتئذ وماذا فعلنا وما أنا فيه الآن. لا وجه للمقارنة مع أني نفس الإنسان.

ولكن عمل الروح القدس والنعمة التي تؤازرني وطبيعتي الجديدة صارت هى المركز الذي تصدر عنه الأفكار والتصرفات. بعد وقت قليل وجدنا أنفسنا ملقين في سجن العامة مع المقبوض عليهم من أجل أعمال سرقة أو شغب. لم نجد غضاضة في الوجود في وسط هؤلاء. أليست هذه هى بشريتنا الساقطة. ولكن نعمة المسيح وروحه القدوس هو صاحب الفضل. فلسنا نعتفي من طبيعتنا وضعفها. ولكن نكرز لهؤلاء وأولئك برائحة المسيح الذكية عوض الطبيعة العتيقة المائتة. نحن نكرز بالقيامة من الأموات.

قضينا وقتاً من الليل. كان لنا أحاديث بسيطة مع بعضهم ولكن كانوا في وضع كمن لا يسمع ولا يرى. وفيما نحن كذلك وقرب الفجر.. نور وهَّاج أضاء لنا.. وجدنا أنفسنا خارج السجن.. ملاك الرب أخرجنا.. يا سيدي هكذا تتشيء مخرجاً من الضيق ولكن لم يخطر على بالنا أن الرب يفعل هذا الأمر. أحسسنا بالعناية الإلهية تحيط بنا. والملائكة الأطهار صاروا خدَّاماً للعتيدين أن يرثوا الخلاص، هم بالحق أرواح يرسلها المسيح للخدمة. شعرنا بعدم استحقاق واتضاع كثير. ولكن الملاك أوصانا قائلاً: "اذْهَبُوا قِفُوا وَكَلِّمُوا الشَّعْبَ فِي الْهَيْكَلِ بِجَمِيعِ كَلاَمِ هذِهِ الْحَيَاةِ". واكرزوا بالمسيح وبالقيامة من الأموات وبوعد الحياة الأبدية بِاسم يسوع.

أطعنا على الفور القول الإلهي المُرسَل لنا بيد الملاك.. فدخلنا

الهيكل واجتمع حولنا جمع كثير.. كان الكلام يفيض منسكباً كنعمة إلهية فائقة. وكان الجمع يصغي إلينا ويقبلون الكلام بكل فرح. ثم حدث أن رؤساء الكهنة اجتمعوا مع شيوخ الشعب وأرسلوا الجند ليأتوا بنا من السجن للتحقيق في التهم الموجَّهة ضدنا. وليروا ماذا يفعلون بنا؟ فلما ذهب الحراس وجدوا أبواب السجن مقفلة بكل حرص ولكن لم يجدونا. فعادوا وهم في حيرة واضطراب وأخبروا رؤساء الكهنة بما جرى. ثم أتى آخرون إلى رؤساء الكهنة وقالوا لهم: "هُوَذَا الرِّجَالُ الَّذِينَ وَضَعْتُمُوهُمْ فِي السِّجْنِ هُمْ فِي الْهَيْكَلِ وَاقِفِينَ يُعَلِّمُونَ الشَّعْبَ!".

وقع الخبر كالرعد على مسامع رؤساء الكهنة وتفكروا "مَا عَسَى أَنْ يَصِيرَ هذا؟" ولكن تمسّكهم بعنادهم وكبريائهم "سد آذانهم عن السماع وأغلق عيونهم لكي لا يروا الحق". ولو تفكروا إلى لحظات كيف أن مسجونين في داخل الأسوار ومحفوظين بحراس. كيف تجدهم خارج الأسوار بل واقفين في الهيكل بغير خوف؟! من أخرجهم والأبواب مُغلَّقة؟ ثم إذ خرجوا من السجن ألا يهربوا لحياتهم ويطلبوا نجاتهم؟ فما بالهم في الهيكل غير هيابين ولا خائفين؟ لو تفكروا في هذا لانفتحت عيونهم ليبصروا الحق وليؤمنوا.

ولكن يا للأسف أرسلوا العسكر مرة أخرى فوصلوا إلينا ووجدونا والناس تحيط بنا. اقتربوا إلينا بلطف وبدون عنف. بكلمات طيبة سألونا هل تذهبون معنا إلى المجمع، إن رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب

مجتمعون ليفحصوا قضيتكم.

ذهبنا معهم بكل اتضاع وثقة ولكن بلا خوف. دخلنا إلى قاعة الاجتماع.. هم هم الذين حاكموا الرب يسوع وجمعوا عليه شهود زور. وهم ذاتهم الذين وقفت أمامهم مع يوحنا الحبيب يوم أجرى الرب على يدي شفاء الرجل الأعرج عند باب الهيكل.

وجوههم تطفح تهديداً وقتلاً. عناد ومقاومة وتعصب أعمي. لقد كانوا يصادرون الرب على كل كلمة وتعليم وقالوا للناس إنه مضِلْ وإنه برئيس الشياطين يخرج الشياطين وقالوا هذا الإنسان ليس من الله لأنه لا يحفظ السبت. وكل ما صنع الرب كانوا يستخرجون فتاوي ليفسدوا قلب الجموع ويصدوهم عن الإيمان. وأخيراً صلبوه على خشبة.

نظر رئيس الكهنة إلينا بغضب وقال: "أَمَا أَوْصَيْنَاكُمْ وَصِيَّةً أَنْ لاَ تُعَلِّمُوا بِهذَا الاسْمِ؟ وَهَا أَنْتُمْ قَدْ مَلأْتُمْ أُورُشَلِيمَ بِتَعْلِيمِكُمْ، وَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْلِبُوا عَلَيْنَا دَمَ هذَا الإِنْسَانِ".

يا إلهي.. هل يريدون أن يبرروا أنفسهم؟

فمَن إذاً الذين رفضوه ولم يقبلوه؟

ومَن الذي أسلمه إلى بيلاطس؟

ومَن هيَّج الشعب قائلين اصلبه؟

ومَنْ حكم عليه بحسب الناموس أنه مجدِّف وأنه فاعل شر؟

والآن صار اسمه مكروهاً لديهم هكذا مهما صُنعت آيات وعجائب بهذا الاسم المبارك. فإن كان بِاسمه تُشفى الأمراض وبِاسمه تخرج الشياطين وتُصنع القوات ألا يرجعوا إلى الرب؟!! ولكنهم متعظمون ومملوؤن رياء وكل خبث، من خارج شيء ومن داخل قبور مملوءة نتانة كقول يسوع.

وللحال استرجعت الويلات التي قالها الرب لهم: "وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! " إنها تسع ويلات. أجبت رئيس الكهنة بملء الروح والحق مع باقي إخوتي الرسل قائلاً: "يَنْبَغِي أَنْ يُطَاعَ اللهَ أَكْثَرَ مِنَ النَّاسِ. إِلهُ آبَائِنَا أَقَامَ يَسُوعَ الَّذِي أَنْتُمْ قَتَلْتُمُوهُ مُعَلِّقِينَ إِيَّاهُ عَلَى خَشَبَةٍ. هذَا رَفَّعَهُ اللهُ بِيَمِينِهِ رَئِيسًا وَمُخَلِّصًا، لِيُعْطِيَ إِسْرَائِيلَ التَّوْبَةَ وَغُفْرَانَ الْخَطَايَا. وَنَحْنُ شُهُودٌ لَهُ بِهذِهِ الأُمُورِ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ أَيْضًا، الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُطِيعُونَهُ".

بهذه الإجابة وضعهم الروح كما في مصيدة.. فهم هم القتلة مهما حاولوا أن يبرئوا أنفسهم. وإن كان يفتكر في نفسه أنه رئيس كهنة فقد زال كهنوته وشق ثيابه ليلة الصليب واُستعلن المسيح رئيس كهنة إلى الأبد؛ إذ قدَّم الذبيحة الأزلية مرة واحدة ودخل إلى ما داخل الحجاب في السماء موضع قدس الأقداس الحقيقى؛ فوجد فداءً أبدياً وصار دمه يُرش للتقديس والتطهير وغفران الخطايا.

سَرَتْ في المجمع مشاورات. وحدثت ثورة عارمة من جراء سماع

كلمات الروح والشهادة ليسوع المسيح بموته المحيي وقيامته المجيدة. وطالب الكثيرون من المتعصبين والمتشددين منهم بقتلنا جميعاً. لقد أسلموا ذهنهم للشيطان، قتَّال الناس من البدء. فنُزعت عنهم الرحمة لأن الشيطان غير رحيم فامتلأوا عنفاً وحباً لسفك الدماء. وكل هذا بِاسم الشريعة وحفاظاً على الدين والعقيدة.

وفي وسط هذه الغوغاء قام رجل وقور معلم للناموس اسْمُهُ " غَمَالاَئِيلُ، مُعَلِّمٌ لِلنَّامُوسِ، مُكَرَّمٌ عِنْدَ جَمِيعِ الشَّعْبِ " وأمر أن نخرج نحن من المجمع ريثما يتشاورن في أمرنا. خرجنا إلى خارج.. ونحن في ملء الثقة والفرح.. إننا نشهد لنعمة المسيح أمام هذا الجمع من رؤساء الكهنة والشيوخ. وتذكرنا كلام الرب أننا سنشهد له أمام ملوك ورؤساء أيضاً.

وبعد قليل أدخلونا وأعلمونا أنهم سيعطوننا مهلة أخرى وأنهم حكموا علينا بالجلد لتأديبنا وأوصونا مرة أخرى أن لا نكلم أحداً بِاسم يسوع. مدُّونا للسياط وعرّوا ظهورنا.. يا للشرف العظيم يا سيدي.. مَنْ نحن حتى نصير مثلك ونقبل الجلدات التي جُلدت أنت بها لأجلنا وتألمت كسابق لأجلنا لكي تدخلنا إلى مجدك الإلهي.

الجلدات مؤلمة جداً وجراحات الجسد فوق الاحتمال الطبيعي.. ألم.. ألم.. ولكن يا للعجب الروح في الداخل يفيض فرحاً وسروراً.. غطَّى على الآلام وغطَّى على العنف والمهانة.

يسوع هو حمل الله.. حمل الخطايا وحمل الآلام والصليب ورفعها

وارتفع بها. لم يلغ الآلام بل جعل قبولها مصدر الفرح.

خرجنا متهللين فرحين كلنا وبلا استثناء واعتبرناه أعظم شرف ونصيب فاخر أن نقبل الآلام لأجل اسمه المبارك. أليس بِاسمه نصنع الآيات فاسمه المبارك برج حصين وقوة للخلاص والحياة لكل سقيم. فكيف لا نفرح بالآلام أيضاً لأجل اسمه!!

بعد هذا لم ننقطع يوماً عن الهيكل مُعلِّمين ومُبشِّرين بِاسم يسوع المسيح. وكانت جموع كثيرة تتقاطر وكانت قوة الرب لشفائهم وكان ينضم إلى الرب كل يوم الذين يؤمنون فيقبلوا عطية الروح القدس.

استفانوس أول شاهد بالدم

لما تذمر بعض اليونانيين الذين آمنوا بالرب من أن أراملهم يُغفل عنهن في الخدمة اليومية من جهة الطعام وغيره.. رأينا نحن الرسل أن نقيم بعض الإخوة على هذا الأمر لكي نتفرغ نحن لخدمة الكلمة والكرازة. "فَانْتَخِبُوا سَبْعَةَ رِجَال مَشْهُودًا لَهُمْ وَمَمْلُوِّينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَحِكْمَةٍ... فَصَلُّوا وَوَضَعُوا عَلَيْهِمِ الأَيَادِيَ " كمكرسين وشمامسة لهذا العمل في وسط الكنيسة للاهتمام وللخدمة لأن العدد كان يتزايد جداً وصارت خدمة الموائد ثقلاً وتحتاج إلى من يقوم عليها.

كان أول من اختاروه هو استفانوس وكان بالحق كملاك الله. هذا التف حوله جماعة من اليهود من أماكن مختلفة يجادلونه بعنف وهو كان يشهد لهم بِاسم يسوع. فدسّوا رجالاً بطالين وشهود زور واتهموه بالتجديف وهيَّجوا الشعب والشيوخ فجمعوا مجمعاً واستمعوا إلى شهود الزور وسألوا استفانوس ففاض الروح المالئ قلبه كلاماً إلهياً سماوياً مُفسّراً لهم من الكتب وملقياً ضوءاً على كل النبوات التي كُتبت من القديم لأن شهادة يسوع المسيح هى روح النبوة. وواجههم بالحق: "يَا قُسَاةَ الرِّقَابِ، وَغَيْرَ الْمَخْتُونِينَ بِالْقُلُوبِ والآذَانِ! أَنْتُمْ دَائِماً تُقَاوِمُونَ الرُّوحَ الْقُدُسَ. كَمَا كَانَ آبَاؤُكُمْ كَذلِكَ أَنْتُمْ! أَيُّ الأَنْبِيَاءِ لَمْ يَضْطَهِدْهُ آبَاؤُكُمْ؟ وَقَدْ قَتَلُوا الذِينَ سَبَقُوا فَأَنْبَأُوا بِمَجِيءِ الْبَارِّ، الذِي أَنْتُمُ الآنَ صِرْتُمْ مُسَلِّمِيهِ

وقَاتِلِيهِ... فَلَمَّا سَمِعُوا هذَا حَنِقُوا بِقُلُوبِهِمْ وَصَرُّوا بِأَسْنَانِهِمْ علَيْهِ. وأَمَّا هُوَ فَشَخَصَ إلى السَّمَاءِ وهُوَ مُمْتَلِئٌ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، فَرَأَى مَجْدَ اللهِ، وَيَسُوعَ قَائِماً عَنْ يَمِينِ اللهِ. فَقَالَ هَا أَنَا أَنْظُرُ السَّمَاوَاتِ مَفْتُوحَةً، وَابْنَ الإِنْسَانِ قَائِماً عَنْ يَمِينِ اللهِ. فَصَاحُوا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَسَدُّوا آذَانَهُمْ، وَهَجَمُوا عَلَيْهِ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ وَرَجَمُوهُ... وَهُوَ يَدْعُو وَيَقُولُ: "أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ اقْبَلْ رُوحِي" ثُمَّ جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: "يَارَبُّ، لاَ تُقِمْ لَهُمْ هذِهِ الْخَطِيَّةَ".

كان هذا أول شاهد بالدم لاسم يسوع. "وَحَدَثَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ اضْطِهَادٌ عَظِيمٌ عَلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي أُورُشَلِيمَ، فَتَشَتَّتَ الْجَمِيعُ فِي كُوَرِ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ". ولكننا بقينا نحن الرسل لم نترك أورشليم. وكان يتزعم حركة السطو على الكنيسة شاب يُقال له شاول "يَنْفُثُ تَهَدُّداً وقَتْلاً وَيَجُرُّ رِجَالاً وَنِسَاءً وَيُسَلِّمُهُمْ إِلَى السِّجْنِ". واضطر بعضهم إلى التجديف وهو كان راضياً بقتل استفانوس، حارساً لثياب الذين رجموه.

من ضمن الذين تركوا أورشليم إلى البلاد المجاورة كان فيلبس المُبشِّر أحد الأحباء المملوئين من الروح القدس إذ كان واحداً من السبعين الذين عيّنهم الرب. ذهب فيلبس إلى السامرة وبشَّر أهلها بقيامة يسوع من الأموات. أظهر أهل السامرة استعداداً عجيباً لقبول كلمة الله والإيمان بالمسيح. واعتقد أن المرأة السامرية هى أول من بشرت بالمسيح حينما قابلها على بئر سوخار هى التي أثرت في هذه المدينة حتى أن

أهلها استضافونا مع الرب ومكثنا عندهم يومين وأعلنوا إيمانهم بالرب يسوع المسيح ابن الله مخلص العالم. لهذا لقي فيلبس إقبالاً على تعليمه بِاسم الرب يسوع.

فقبل أهل السامرة الإيمان. وكان بينهم رجل مشهور بسحره "وَكَانَ الْجَمِيعُ يَتْبَعُونَهُ مِنَ الصَّغِيرِ إلى الْكَبِيرِ قَائِلِينَ: هذَا هُوَ قُوَّةُ اللهِ الْعَظِيمَة ". ولكن لما صدقوا فيلبس انصرفوا عن هذا الوهم حتى أن الرجل الساحر سيمون نفسه آمن واعتمد. لقد عمّدهم فيلبس المبشر جميعهم بِاسم الرب يسوع. ولكن كان يلزم أن يقبلوا الروح لكي يولدوا ويسكن فيهم ويقبلوا كل العطايا والمواهب بسكنى الروح ويتمتعوا بالخلاص وغفران الخطايا.

أرسل إلينا فيلبس يستدعينا لكي نضع أيدينا عليهم ليقبلوا الروح القدس. ذهبت أنا ويوحنا إلى هناك. كم فرحنا وتعزينا بعمل نعمة الله وكم وجدنا حباً وترحيباً من أولئك المؤمنين الجدد. فوضعنا أيدينا عليهم فحل الروح القدس وملأهم نعمة فطفقوا يسبحون ويمجدون الله وظهرت المواهب فيهم. وبدت النعمة جلية على وجوههم.

لما رأى سيمون أنه بوضع أيدينا حل الروح القدس على الجميع اندهش وإذ كان فكر السحر والأعمال السحرية مازال مسيطراً على عقله إذ كان شغله الشاغل أن يعمل عملاً يبهر عقول الناس ويجعلهم

يعظمونه. هذا "قَدَّمَ لَنَا دَرَاهِمَ قَائِلاً: أَعْطِيَانِي أَنَا أَيْضًا هذَا السُّلْطَانَ، حَتَّى أَيُّ مَنْ وَضَعْتُ عَلَيْهِ يَدَيَّ يَقْبَلُ الرُّوحَ الْقُدُسَ". مسكين هذا الإنسان وأفكاره مربوطة بالظلام. إنه روح الله فكيف يُباع؟ أو يُقتنى بفضة أو ذهب؟

وهذا السلطان الذي وهبه الرب يسوع للرسل أن يحلوا ويربطوا الخطايا ويُعمِّدوا ليس بالماء فقط بل بالماء والروح. لم يعطه الرب للتفاخر ولا للتظاهر ولا لمجد الناس. بل لمجد الله وبناء الكنيسة، "ولَنَا هذَا الْكَنْزُ فِي أَوَانٍ خَزَفِيَّةٍ، لِيَكُونَ فَضْلُ الْقُوَّةِ للهِ لا مِنَّا".

وهذه المواهب العظمى والنِّعم تُعطى لِمَنْ يختاره المسيح ويستأمنه. ليس لمن يريد أن يكون. لأن "لاَ يَأْخُذُ أَحَدٌ هذِهِ الْوَظِيفَةَ بِنَفْسِهِ، بَلِ الْمَدْعُوُّ مِنَ الله". فقلت للرجل بقوة الروح وصدقه وسلطانه: "لِتَكُنْ فِضَّتُكَ مَعَكَ لِلْهَلاَكِ، لأَنَّكَ ظَنَنْتَ أَنْ تَقْتَنِيَ مَوْهِبَةَ الله بِدَرَاهِمَ! لَيْسَ لَكَ نَصِيبٌ وَلاَ قُرْعَةٌ فِي هذَا الأَمْرِ، لأَنَّ قَلْبَكَ لَيْسَ مُسْتَقِيماً أَمَامَ الله. فَتُبْ مِنْ شَرِّكَ هذَا، وَاطْلُبْ إِلَى الله عَسَى أَنْ يُغْفَرَ لَكَ فِكْرُ قَلْبِكَ، لأَنِّي أَرَاكَ فِي مَرَارَةِ الْمُرِّ وَرِبَاطِ الظُّلْمِ".

وكشف الروح بما في أعماق نفس هذا الرجل وإعلان ذلك على لساني جهراً وأمام جمهور الناس الذين كانوا يندهشون بسحره، كان كأن الروح يرسي من البداية مبدأ عدم السعي للمواهب الروحية بوساطة أو رشوة أو

هدية أو بأي طريق من طرق أهل العالم. فأجاب الرجل إذ أحس بالخوف في أعماق نفسه وانكشف ما كان مستوراً فيها، أجاب قائلاً: "أَطْلُبَا أَنْتُمَا إِلَى الرَّبِّ مِنْ أَجْلِي لِكَيْ لاَ يَأْتِيَ عَلَيَّ شَيْءٌ مِمَّا ذَكَرْتُمَا". مكثنا مدة عندهم نعزيهم بكلمة الحياة ونثبتهم في الإيمان وإذ انتشر خبر عمل نعمة الله، ذهبنا إلى قرى أخرى في السامرة وبشرناهم ووعظناهم بكلام الحياة الأبدية فقبل كثير منهم الإيمان واعتمدوا بِاسم الرب يسوع.

إينياس في لِدَّة

دفعني الروح أن أفتقد المؤمنين في كنائس بعض البلاد، فمررت بهم مؤازراً لهم ومثبتًّا صدق إيمانهم. وكان هذا يسبب لي فرحاً كثيراً وتعزية ليست بقليلة إذ أرى في أيام قليلة ثمراً كثيراً لعمل نعمة المسيح ولحساب ملكوته. ومن ضمن البلاد التي قاد الروح قدمي إليها مدينة لدَّة وكانت قريبة من يافا. وكان فيها مؤمنون يفرحون قلب الله بسبب طاعتهم لإنجيل المسيح وتقديمهم أنفسهم للرب.

وبينما أنا هناك وجدت إنساناً اسمه إينياس مضطجعاً على سرير منذ ثماني سنوات وكان مشلولاً لا يقدر أن يتحرك مسكين جداً. تحرك الروح داخلي بشفقة وحنان نحو خليقة الله وتذكرت يسوع حينما انتهر الحمى عن حماتي فقامت في الحال وخدمت الكل بقوة الروح.

فلما تحركت أحشائي نحوه وأنا ناظر إليه طلبت الرب في داخلي وقلت للرجل: "يَا إِينِيَاسُ، يَشْفِيكَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ. قُمْ وَافْرُشْ لِنَفْسِكَ!". سَرَتْ قوة الحياة في الحال في المشلول.. شيء مذهل للعقل ولكن بمجد المسيح واسمه المبارك الذي أعطانا هذه النعمة. يا لقوة اسم يسوع.. ويا للعجب حينما ننطق بكل الصدق والإيمان بِاسمه الذي أعطانا إياه ودُعيَ علينا. قام الرجل للحال بصحة وقوة.. ذكَّرني ذلك بالرجل الذي كان عند بركة بيت حسدا الذي كان له ثمان وثلاثين سنة ملقي مشلول

وقال له الرب: "أَتُرِيدُ أَنْ تَبْرَأَ؟ أَجَابَهُ الْمَرِيضُ: يَا سَيِّدُ، لَيْسَ لِي إِنْسَانٌ يُلْقِينِي فِي الْبِرْكَةِ مَتَى تَحَرَّكَ الْمَاءُ. بَلْ بَيْنَمَا أَنَا آتٍ، يَنْزِلُ قُدَّامِي آخَرُ. قَالَ لَهُ يَسُوعُ: قُمِ احْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ. فَحَالاً بَرِئَ الإِنْسَانُ وَحَمَلَ سَرِيرَهُ".

أيقنت أن يسوع هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد. وهو عمل حينما كان بيننا بالجسد واليوم هو العامل فينا وبنا بذات الروح والقوة والسلطان له المجد.

طابيثا في يافا.

بينما أنا في لدَّة والمؤمنين حولي مبتهجين بشفاء إينياس ويمجدون الله من أجل نعمة الشفاء هذه ويُخبرون بكم صنع الرب. جاء رجلان يطلباننى. فلما قابلتهما علمت أنهما من يافا. رحبت بهما وسألتهما عن المؤمنين هناك. فقالا وقد بدا عليهما حزن شديد: هل تذكر طابيثا التي في يافا. قلت. أذكرها جيداً: إنها إنسانة مملوءة ثمراً صالحاً وقد اهتمت منذ إيمانها بالمسيح وقبولها العماد بِاسمه، اهتمت بكل إخلاص بالفقراء والمنقطعين والأرامل والعاجزين. وهذه هى العبادة النقية الطاهرة عند الله الآب. وقلبي يفرح عندما أذكرها وقد صارت باكورة لعمل هذه الخدمة في كنيسة الله.

قالا وقد ظهر عليهما التأثر حتى البكاء: لقد ماتت طابيثا. ومض

ذهني واختلجت روحي بتذكار لعازر حبيب الرب وكيف أرسلوا إليه أيضاً قائلين: هوذا الذي تحبه مريض. وكيف أن الرب أقامه بعد أربعة أيام من موته. نعم يسوع قادر على الإقامة من الأموات أيضاً. قلت لهما بدون إبطاء: أنا آتي معكما. ذهبنا إلى يافا، لم تكن تبعد كثيراً عن لدَّة. فلما وصلنا إلى بيت طابيثا وجدت زحاماً وبكاءً وإن كان يختلف عن الزحام والبكاء الذي كان في بيت يايروس. لأن المجتمعين اليوم في بيت طابيثا هم مؤمنون بِاسم الرب يسوع. فإن كان حزن ولكن برجاء القيامة وليس "كَالْبَاقِينَ الَّذِينَ لاَ رَجَاءَ لَهُمْ". قلت كلمة الرب يسوع: "أين وضعتموها؟".

أصعدوني إلى العلية التي فيها سريرها وكانوا قد غسلوها وأرقدوها على سريرها وابتدأ الأرامل والمساكين يبكون وينوحون ويروونني عمل يديها من أقمصة وثياب كانت تعملها بيديها لتُلبسهم. وكان بعضهم يقول شيئاً وآخرون يذكرون لها فضائل أخرى لأنها كانت تصنع معروفاً لجميعهم. لذلك كانوا يتوسلون كشفعاء. وهم إذ لهم دالة عند الله كإخوته الأصاغر. سُمعت طلبتهم لدى الله.

أخرجت الجميع خارجاً وجثوت على ركبتيَّ أحنيهما لدى مخلصي وملكي أصلي وأتوسل وأنا أعلم أنه يسمع ويستجيب. نعم قد صارت آيات وأشفية كثيرة صنعها الرب بضعفي حتى أن ظلي صار يشفي

الأمراض وأنا مديون للرب بهذه النعمة وصغير أنا عن جميع ألطاف المسيح إلهي. لا أستطيع أن أحصي آيات الشفاء.. آخرها كان إينياس المقعد لثمان سنوات. أقامه الرب بكلمة أجراها على شفتي وعزَّى كنيسته بنعمته العاملة فيَّ. ولكن إقامة من الأموات؟!

لذلك سكبت نفسي وقلبي باتضاع شديد وقلت للرب: من أجل اسمك ومن أجل تمجيدك في وسط الجماعة. من أجل الأرامل والأيتام ومن أجل حبهم لك وثقتهم في اسمك، أنت تقدر على كل شيء. ثم التفت إلى الجسد وقلت: "يَا طَابِيثَا، قُومِي. فَفَتَحَتْ عَيْنَيْهَا" وأبصرتني راكعاً بجوار سريرها فجلست.

يا إلهي: فاضت روحي بشكر لا يُعبَّر عنه وثقتي في مواعيد يسوع وصلت إلى أقصى ما يمكن أن تكون الثقة وأشد ما يتقوى الرجاء بيقين شديد. كنت راكعاً وقلبي ساجد عند قدمي يسوع. "يَسُوع هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِهِ وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا".

أحسست بقوة إن خدمة إخوة يسوع لها أجر عظيم لديه وهي محبوبة جداً عنده. وأيقنت بقول يسوع: "بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ". وقوله: "اصْنَعُوا لَكُمْ أَصْدِقَاءَ بِمَالِ الظُّلْمِ، حَتَّى إِذَا فَنِيتُمْ يَقْبَلُونَكُمْ فِي الْمَظَالِّ الأَبَدِيَّةِ". وأنه لا بد للإنسان المسيحي أن يكنز له كنزاً في السماء بأعمال رحمة تُفرح قلب الله.. ناولتها يدي لأقيمها.. قبَّلتها بامتنان وشكر. لم تكن

طابيثا تحتاج إلى كلمات فقيامتها من الموت كانت أبلغ من الكلام وحبها ليسوع كان حباً عملياً ترجمته إلى أعمال رحمة.. أشرق وجهها بنور الحياة في وجه يسوع المسيح. ناديت بصوتي الأرامل والأيتام وجموع المساكين الواقفين خارجاً.

كان رنين صوتي في آذانهم كبوق الملاك المبشر بالقيامة. أدركوا من نبرات الصوت أن معجزة قد حدثت وأن شوكة الموت كسرها يسوع وأن القائم من الأموات قد أقام تلميذته طابيثا. تراكض الكل بلهفة شديدة واندفعوا بقوة يتزاحمون ليدخلوا العلية. وجدوا طابيثا واقفة ممسكة بيدي.

لك أن تتخيل ما صنعه هؤلاء المؤمنون الفقراء وهم عندهم غنى جزيل لأنهم أحبوا الرب والتصقوا به وآمنوا بنعمته القادرة على الإقامة من الأموات. يا للفرح وصياح التمجيد والحمد.. بعضهم سجد يقبل الأرض ويشكر يسوع وآخرون عانقوا طابيثا بعناق الحب والدموع في أعينهم.. ولكن ليست دموع الحزن.. بل دموع فرح وقيامة بعد الموت. تحول الحزن والنحيب وذهبت كآبة الموت التي ارتسمت على كل وجه وأشرق نور القيامة فشمل الجميع. أشرق في كل قلب وبدد كل رهبة الموت.

يا كاسر شوكة الموت.. أي شكر نؤدي لك وبأي لسان نسبحك؟! سَرَى خبر القيامة في الكور المحيطة أسرع من خبر الموت الذي ينتشر

بسرعة فيترك في النفوس حسرة على الفقدان والخسارة.

كانت قيامة طابيثا سبباً في قيام نفوس الكثيرين ليس من موت الجسد بل من موت الخطية فآمنوا بالرب مخلص نفوسنا من الفساد. ومعطي الحياة الأبدية لكل من يؤمن بِاسمه.

مكثت أياماً في يافا عند أحد المؤمنين اسمه سمعان كاسمي القديم وهو يعمل دباغاً للجلود. ألزمني أن أمكث عنده بمحبته الفائقة ليسوع ولنا نحن الرسل وكان يقول إنه حين يُدخلني إلى بيته يكون قد قبل المسيح ضيفاً عليه.. تذكرت كلام الرب: "مَنْ يَقْبَلُكُمْ يَقْبَلُنِي". وقوله أيضاً:

"وَأَيُّ بَيْتٍ دَخَلْتُمُوهُ فَقُولُوا أَوَّلاً: سَلاَمٌ لِهذَا الْبَيْتِ".

كان سمعان الدباغ فعلاً ابن للسلام وابناً ليسوع ومملوء حباً وأعمالاً صالحة كثيرة مضيفاً للغرباء. مكثت في بيت سمعان أياماً كثيرة استلزمتها خدمة الذين يؤمنون حديثاً ويحتاجون إلى كلمة الحياة وإلى نعمة المعمودية وإلى تعليمهم الحياة بحسب المسيح في الروح وكانوا يسألون كثيراً عن كلام الرب وتعليمه. وكان الروح يذكرنا بكل ما قاله الرب وكل ما صنعه. فكنت أنقلها لهم بكل أمانة الروح فكانوا يقبلون تعليم الرب بإيمان بغير فحص العقل.

كرنيليوس قائد المئة

كنت يوماً في بيت سمعان وفي وسط النهار أحسست بجوع غريب على غير عادتى. قلت: أنا جوعان فأسرعت الأخوات في هذا البيت إلى تهيئة الطعام بفرح بحسب محبتهن وبساطة قلوبهن. كان أكلي وشربي في بيت إقامتي بأمر الرب "كُلُوا مِمَّا يُقَدَّمُ لَكُمْ". ولم أكن أنتقل من بيت سمعان هذا كأمر الرب القائل: "لاَ تَنْتَقِلُوا مِنْ بَيْتٍ إِلَى بَيْتٍ".

قلت لنفسي إلى أن يهيئوا الطعام دعني أصعد إلى سطح البيت لأقضي وقتاً للصلاة كما علَّمني يسوع إذ كان يطلب دائماً موضع خلاء أو يمضي إلى الجبل ليصلي. فموضع الخلاء يُدخل السكون إلى داخل النفس ويُعطي فرصة للامتلاء بعيداً عن الناس وكلام الناس ومشاغل الناس. والجبل يرفع الإنسان إلى فوق فتصغر الدنيا بكل ما فيها ويحلق الفكر في السموات.

وبينما أنا في الروح في حال الصلاة وقلبي وذهني يحلق في السماويات لا سيما أن هذه الساعة السادسة هى قمة استعلان أسرار حب الله، إنها ساعة الصليب، هى في الحقيقة أقدس ساعة في تاريخ البشرية، ساعة الخلاص لما صار ضوء شمس البر سبعة أضعاف. في لحظات غبت عن الوعي المادي وكأني لست في الجسد.. نظرت وإذا السماء مفتوحة. دخلت في دهش لا يوصف واُختطف عقلي وقلبي إلى

هناك.

وبينما أنا أتطلع بعيني قلبي في هذا المنظر الإلهي.. رأيت إناءً نازلاً من السماء نازلاً نحوي من ملاءة عظيمة مربوطة بأربعة أطراف وممسوكة من فوق بغير يد إنسان. صارت الملاءة تتدلى من السماء رويداً رويداً نحوي حتى صارت في مستوى قامتي.. نظرت داخلها وإذا بها كل دواب الأرض والوحوش والزحافات وطيور السماء.

ما هذا يا إلهي.. كم رهيب من هذه المخلوقات كلها برية وكلها بحسب الناموس تُحسب نجسة غير مسموح بأكلها. استيقظ داخلي شعور الجوع الغريب الذي أصابني.. شعرت به بشدة يعصر معدتي.. كان هذا الشعور يزداد فيَّ كلما اقتربت إلى هذه الملاءة العجيبة.

ما هذا السر؟ ماذا تريد يا سيدي أن تُعلِن لي؟ فهِّمني وعلِّمني فأدرك قصدك الإلهي!! ثم وفيما أنا متفكر ومتحير وإذ صوت من السماء هز كياني كله ناداني قائلاً: "قُمْ يَا بُطْرُسُ، اذْبَحْ وَكُلْ". علمت الصوت فهو مألوف لدي إنه صوت يسوع

مخلصي.. ربي وإلهي.. كيف يا سيد؟! في حياتي لم آكل شيئاً محرماً نجساً أو دنساً. هذه الحيوانات لا نلمسها مجرد اللمس. ومن يلمسها يتنجس ويحتاج إلى تطهير!!

أجابني الصوت قائلاً: "مَا طَهَّرَهُ اللَّهُ لاَ تُدَنِّسْهُ أَنْتَ!". تحيرت جداً وعاودت الاعتراض إنني لا آكل أياً مما حرمه عليَّ الناموس وأوصت به الشريعة. أجابني الصوت بذات الكلمات ترن في أذني "مَا طَهَّرَهُ اللَّهُ لاَ تُدَنِّسْهُ أَنْتَ!". صار هذا على ثلاث مرات متكررة. ذات الصوت وذات الكلمات. ثم ارتفعت الملاءة بكل ما فيها رويداً رويداً إلى السماء حتى غابت عن نظري..

وعُدت إلى كامل وعيي وحالتي العادية ولكنني كنت متحيراً جداً. ترى ما عسى أن تكون هذه الرؤيا؟ وماذا تريدني يارب أن أُعَلم وأن أعمل؟ وما هو الذي طهرته أنت؟ نعم يكون طاهراً. ولكني على كل حال لست أفهم قصدك بعد يا سيدي!

لست أعلم كم من الوقت قضيت وأنا في حالتي هذه أتفكر وأصلي لكي أدرك قصد الله.. إلى أن قطع عليَّ خلوتي طرقات على الباب رجال ينادون.. سمعت اسمي. إنهم يسألون عني. ترى من هم ومن أين أتوا؟ لعلهم من جنود رؤساء الكهنة أو غيرهم؟

قال لي الروح بوضوح شديد: "هُوَذَا ثَلاَثَةُ رِجَال يَطْلُبُونَكَ. لكِنْ قُمْ وَانْزِلْ وَاذْهَبْ مَعَهُمْ غَيْرَ مُرْتَابٍ فِي شَيْءٍ، لأَنِّي أَنَا قَدْ أَرْسَلْتُهُمْ". نزلت

للتو وإذا الرجال الثلاثة أحدهم جندي روماني بملابسه الرسمية. وهم يسألون: "هَلْ سِمْعَانُ الْمُلَقَّبُ بُطْرُسَ نَازِلٌ في هذا البيت؟". قلت للرجال: أنا هو الذي تسألون عنه. ما هو السبب الذي حضرتم لأجله؟

قالوا: باختصار نحن خدام لرجل شريف قائد مئة في قيصرية.. وهو رجل تقي خائف الله ومحبوب من جميع الناس بسبب أعماله الحسنة وأخلاقه العالية ومعاملاته الطيبة واتضاعه برغم مركزه وقوته وهو يطلب أن يراك. قلت: لماذا؟ ولماذا أنا بالذات؟ قالوا: "أُوحِيَ إِلَيْهِ بِمَلاَكٍ مُقَدَّسٍ أَنْ يَسْتَدْعِيَكَ إِلَى بَيْتِهِ وَيَسْمَعَ مِنْكَ كَلاَماً".

لم أكن معانداً للرؤيا السماوية.. ها قد انكشف أمامي التدبير الإلهي، إذاً هي خطة الله، هو الذي أوحى إلي الرجل قائد المئة كرنيليوس. وهو الذي أمره أن يستدعيني. وهو الذي أرسل إليَّ الرجال. وهؤلاء أمميون وليسوا يهوداً.. ليس مسموح لي أن أدخل إليهم ولا أن آكل معهم، وليس لي خلطة بأحد غير يهودي. أذهب إلى بيته؟ ويسمع مني كلاماً؟ ليس عندي كلام إلاَّ عن يسوع المسيح وصليبه وقيامته. إذاً الروح يأمرني أن أكرز للوثنيين؟ ما كان هذا يخطر لي على بال!! هل سيقبلون الإيمان ويصيرون أولاد الموعد، أولاد الله، أولاد الملكوت؟ وهل سيقبلون عطية الروح القدس؟

هذه أمور أعلى من فكري.. أنا متحيِّر.. وأنا لست أعلم ماذا سيُعلن الله لي. هل المسيح للعالم كله؟ آه الآن أدرك كلامه "اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ

أَجْمَعَ وَاكْرِزُوا بِالإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا ".

رحبت بالرجال بمحبة ودعوتهم للدخول.. واستضفت الرجال في بيت سمعان الدباغ مضيفي إلى الغد.. كانوا معظم الوقت يتكلمون عن صلاح الرجل كرنيليوس قائد المئة وعن خيريته وكيف أنه يحيا حياة تختلف تماماً عن القواد الرومانيين. في الغد خرجت مع الرجلين والعسكري متوجهين إلى قيصرية. صليت كثيراً وتشوقت لأرى وعود الله هذه التي كنا نسمع عنها بسماع الأذن.. "لِلرَّبِّ الأَرْضُ وَمِلْؤُهَا. الْمَسْكُونَةُ، وَكُلُّ السَّاكِنِينَ فِيهَا "، "سَبِّحُوا الرَّبَّ يَا جَمِيعَ الأُمَمِ، وَامْدَحُوهُ يَا جَمِيعَ الشُّعُوبِ ".

رافقنا أيضاً جماعة من الإخوة الذين في يافا كانوا قد سمعوا الخبر بالأمس.. قالوا نذهب معك.. فرحين بعمل الرب ومتوقعين خلاصه الذي يعلنه للكل. كانوا كثيرين يريدون أن يصحبونا ولكنني اخترت منهم ستة رجال فقط وقلت للباقين ستسمعون بعمل الرب وتمتلئون فرحاً ولكن ليس من المناسب أن نذهب جمهرة من الناس فاقتنعوا ورجعوا.

كان السفر إلى قيصرية طويلاً نسبياً فالمسافة بين يافا وقيصرية استغرقت يوماً كاملاً وبعض اليوم التالي. وصلنا إلى بيت كرنيليوس.. قصر كبير معروف لدى الجميع. رفعت قلبي بالصلاة وملأني الروح من النعمة المفاضة والمنسكبة علينا بغنى بكل حكمة وفطنة.

عند باب البيت وجدت نفسي أمام الرجل كرنيليوس.. ملامح وجهه

مريحة لا يوجد على وجهه علامات الصرامة التي للعسكريين.. عيناه وديعتان ورغم طوله الفارع إلا أن رأسه مطرقة غير متشامخة. حالما رآني ارتمى عند قدمي ساجداً..

يا إلهي ما كنت في هذا الموقف من قبل!! أنا ما أنا .. أنا صغير عن جميع ألطافك.. مَنْ أنا حتى يتصاغر أمامي رجل عظيم مثل هذا؟! من يحتمل هذا يا سيدي.. ولكن نعمتك تسندني. عُدت إلى نفسي وقلت: الكرامة لمن له الكرامة. إن اسم يسوع الذي أخدمه هو الذي يجذب الكل وهو مستحق لكل كرامة. أنا أحمل اسمه عليَّ فالناس يكرمون الاسم المبارك. أنا تلميذ ليسوع واسم يسوع يتعظم بين الناس والملائكة. انحنيت أقيم الرجل وأقبِّله وأقول له: "قُمْ، أَنَا أَيْضاً إِنْسَانٌ" مثلك.. كلنا ضعفاء خطاة.. أعطِ المجد لله الذي ينعم على الكل.

اصطحبني الرجل بإكرام جزيل إلى ما داخل بيته الكبير وهو يتكلم إليَّ باتضاع لم أعهده في أحد من اليهود بني أُمَّتي. ولما وصلنا إلى بهو المنزل وجدت جمعاً كبيراً من الناس. عرفني الرجل عليهم، أقارب وأنسباء وأصدقاء مُقربين. لم يكن فيهم يهودي واحد.. كلهم أمميين وثنيين.

قال الرجل للجمع: هذا سمعان بطرس تلميذ يسوع الناصري. همَّ الجميع يسلمون عليَّ وعلى من معي بإكرام جزيل ووقار شديد.

جلسوا جميعهم في أدب جم وصمت عميق. فتحت

فمي لأتكلم كما ينطق الروح على فمي.. لم أكن أفكر في كلام. ولم تتدخل إرادتي في تدبير كلام. بسهولة تركت للروح أن تنساب الكلمة من فمي بلا مانع بلا تدخل من فكري.

قلت: أنتم تعلمون عوائد اليهود وشريعتهم لأنكم عائشون في وسط بلادنا. "وأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ كَيْفَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَى رَجُل يَهُودِيّ أَنْ يَلْتَصِقَ بِأَحَدٍ أَجْنَبِيٍّ أَوْ يَأْتِيَ إِلَيْهِ. وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَرَانِي اللهُ أَنْ لاَ أَقُولَ عَنْ إِنْسَانٍ مَا إِنَّهُ دَنِسٌ أَوْ نَجِسٌ". وأنا أتكلم مثَلَ أمامي منظر الملاءة المربوطة بأربعة أركان.. يا سيدي هذه هى الملاءة، وهؤلاء هم الأمم. وخطر على بالي في الحال أن الرب أرسل لنوح جميع الحيوانات لتدخل إلى الفلك من الحيوانات الطاهرة ومن الحيوانات غير الطاهرة.

لقد احتوى الفلك القديم الكل لاستبقاء حياة جسدية، أما الفلك الجديد هو كنيستك يا سيد.. لاستبقاء حياة أبدية في مختاروك. وكما خلص الداخلون إلى الفلك بالماء كذلك يخلص مختاريك بالمعمودية.

قلت للمجتمعين.. هكذا لما أراني الله بالرؤيا ما لم أكن أدركه من تدبير الله وقادني الروح إلى حيث أنتم مجتمعون.. فها أنا أمامكم قد أتيت إليكم طائعاً لله وأسألكم لماذا استدعيتمونى؟

فقال كرنيليوس بصوت وديع هادئ رزين: "مُنْذُ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ إِلَى هذِهِ السَّاعَةِ (يعني الساعة التي كنا مجتمعين فيها وهى حوالي التاسعة أي بعد الظهر بثلاث ساعات) كُنْتُ صَائِمًا. وَفِي السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ كُنْتُ

أُصَلِّي فِي بَيْتِي، وَإِذَا رَجُلٌ قَدْ وَقَفَ أَمَامِي بِلِبَاسٍ لاَمِعٍ. وَقَالَ: يَا كَرْنِيلِيُوسُ، سُمِعَتْ صَلاَتُكَ وَذُكِرَتْ صَدَقَاتُكَ أَمَامَ اللهِ. فَأَرْسِلْ إِلَى يَافَا وَاسْتَدْعِ سِمْعَانَ الْمُلَقَّبَ بُطْرُسَ. إِنَّهُ نَازِلٌ فِي بَيْتِ سِمْعَانَ رَجُل دَبَّاغٍ عِنْدَ الْبَحْرِ. فَهُوَ مَتَى جَاءَ يُكَلِّمُكَ. فَأَرْسَلْتُ إِلَيْكَ حَالاً. وَأَنْتَ فَعَلْتَ حَسَنًا إِذْ جِئْتَ. وَالآنَ نَحْنُ جَمِيعاً حَاضِرُونَ أَمَامَ اللهِ لِنَسْمَعَ جَمِيعَ مَا أَمَرَكَ بِهِ اللهُ ".

أي دهشة استولت على قلبي وعقلي وأنا أسمع هذا الكلام العجيب. من الذي علَّمَك الصوم حتى الساعة التاسعة ومن علَّمَك أن تقدم ذبيحة الصوم هذه بالصلاة وتقربها كقربان لدى الله!! ومن الذي علَّمَك عمل الرحمة والصدقات.. تعملها بكثرة وبالطريقة التي يقبلها الله لا للافتخار ولا للمظهر ولا إرضاء للناس. فصار أجرك في السماء محفوظاً لدى القدير وكيف يظهر لك ملاك من الله مرسول يعلمك بقبول صلواتك وصدقاتك. ألم يقل الرب مرات كثيرة "لَمْ أَجِدْ وَلاَ فِي إِسْرَائِيلَ إِيمَانًا بِمِقْدَارِ هذَا ".

لا بد أن للمسيح مختارين وخراف أخصاء ليست من هذه الحظيرة ينبغي أن يأتي بهذه أيضاً فتكون رعية واحدة للراعي الصالح وحده يسوع. ما أعظم جودك يارب.. ما أعجب حبك.. وما أعظم قدرتك.

فتحت فمي إذ ملأني الروح كلاماً صالحاً وقلت:

"بِالْحَقِّ أَنَا أَجِدُ أَنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبَلُ الْوُجُوهَ. بَلْ فِي كُلِّ أُمَّةٍ، الَّذِي يَتَّقِيهِ وَيَصْنَعُ الْبِرَّ مَقْبُولٌ عِنْدَهُ. الْكَلِمَةُ الَّتِي أَرْسَلَهَا إلى بَنِي إِسْرَائِيلَ يُبَشِّرُ بِالسَّلاَمِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ. هذَا هُوَ رَبُّ الْكُلِّ. أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ الأَمْرَ الَّذِي صَارَ فِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ مُبْتَدِئاً مِنَ الْجَلِيلِ، بَعْدَ الْمَعْمُودِيَّةِ الَّتِي كَرَزَ بِهَا يُوحَنَّا. يَسُوعُ الَّذِي مِنَ النَّاصِرَةِ كَيْفَ مَسَحَهُ اللَّهُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَالْقُوَّةِ، الَّذِي جَالَ يَصْنَعُ خَيْرًا وَيَشْفِي جَمِيعَ الْمُتَسَلِّطِ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ، لأَنَّ اللَّهَ كَانَ مَعَهُ. وَنَحْنُ شُهُودٌ بِكُلِّ مَا فَعَلَ فِي كُورَةِ الْيَهُودِيَّةِ وَفِي أُورُشَلِيمَ. الَّذِي أَيْضًا قَتَلُوهُ مُعَلِّقِينَ إِيَّاهُ عَلَى خَشَبَةٍ. هذَا أَقَامَهُ اللَّهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، وَأَعْطَى أَنْ يَصِيرَ ظَاهِراً، لَيْسَ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ، بَلْ لِشُهُودٍ سَبَقَ اللَّهُ فَانْتَخَبَهُمْ. لَنَا نَحْنُ الَّذِينَ أَكَلْنَا وَشَرِبْنَا مَعَهُ بَعْدَ قِيَامَتِهِ مِنَ الأَمْوَاتِ. وَأَوْصَانَا أَنْ نَكْرِزَ لِلشَّعْبِ، وَنَشْهَدَ بِأَنَّ هذَا هُوَ الْمُعَيَّنُ مِنَ اللَّهِ دَيَّاناً لِلأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ. لَهُ يَشْهَدُ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ أَنَّ كُلَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ يَنَالُ بِاسْمِهِ غُفْرَانَ الْخَطَايَا".

كان المجتمعون شاخصين إليَّ بكل حواسهم وبانتباه يفوق العقل. أحسست بروحي أن هذه النفوس فيها جوع وعطش إلى البر لم أره في أحد قط لأن قبولهم للكرازة وإيمانهم بكل ما سمعوا بلا جدال ولا تشويش أظهر على وجوههم نعمة عجيبة لا تخطئها عين مَنْ ينظر إليهم.

هكذا تفعل الكلمة بالروح. تذكرت يوم حلول الروح حين كلمت

الجموع.. كم نُخسوا في قلوبهم. وتذكرت كلام الرب: "أَنْتُمُ الآنَ أَنْقِيَاءُ لِسَبَبِ الْكَلاَمِ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ". إذاً قبول الكلمة ينقي القلب ويقدس الداخل.

بينما كنت أتكلم "بِهذِهِ الأُمُورِ حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَى جَمِيعِ الَّذِينَ كَانُوا يَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ" كما حل علينا في البداءة. إذاً هذه آنية مختارة.. هكذا قال يسوع: "اَلرِّيحُ تَهُبُّ حَيْثُ تَشَاءُ، وَتَسْمَعُ صَوْتَهَا، لكِنَّكَ لاَ تَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي وَلاَ إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ. هكَذَا كُلُّ مَنْ وُلِدَ مِنَ الرُّوحِ".

صار حلول الروح منظوراً لدى الجميع واضحاً أشدّ الوضوح. ملء الروح القدس يغني الإنسان بكل غنى الله. صاروا يتكلمون بعظائم الله.. "فَاضَ قَلْبِي بِكَلاَمٍ صَالِحٍ"، "وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلاَمٌ، طُولُ أَنَاةٍ لُطْفٌ صَلاَحٌ، إِيمَانٌ وَدَاعَةٌ تَعَفُّفٌ ".

يا لفرح الروح ويا للسلام الذي يفوق كل عقل! سكيب الروح هو بمثابة خِلقة جديدة نازلة من فوق، ونار الله تعلن قبول الذبيحة. اندهش الإخوة رفقائي لما رأوا عجائب الله وروحه القدوس يحل على الوثنيين الأمم المحسوبين أنهم غرباء عن رعوية إسرائيل وبلا إله في العالم..

إذاً أعطى الرب الأمم أيضاً أن يكونوا مقبولين مثلنا.. لم يفرق بيننا وبينهم بشيء.. ذات الروح الواحد سكبه على كلينا. انفتحت البصائر في

المسيح يسوع "لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلاَ يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلاَ حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لأَنَّكُمْ جَمِيعاً وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ". بل هى نفوس قدسها المسيح بدمه وملأها بروحه القدوس وأعطانا جميعاً رجاء الحياة الأبدية وغفران الخطايا بِاسمه.

كَمنْ يفرح بولادة البنين صار قلبي يلهج بفرح لا يُنطق به.. نعم هى ولادة بالروح. ولادة بنين جُدد في ملكوت المسيح والولادة فرح. ولكن هذه ليست ولادة فرد

ولا أفراد.. بل ولادة كنيسة مجتمعة. وصدق اليوم قول إشعياء: "هَلْ تَمْخَضُ بِلاَدٌ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، أَوْ تُولَدُ أُمَّةٌ دَفْعَةً وَاحِدَةً؟".. نعم يارب فأنت هو أنت ووعودك صادقة وأمينة.. لك المجد.

نطق الروح في أفواههم بألسنة بلغات مختلفة لا يعرفونها وانفجرت ينابيع الغمر في قلوبهم ففاضت بشكر وتسبيح وكلام إلهي فائق الوصف. زادت دهشة الإخوة رفقائي الذين من يافا من كل ما سمعوه ورأوه ولم يتمالكوا أنفسهم من الانفعال الروحي. إذاً أعطى الرب الأمم ذات النعمة والتعزيات.

"حقاً لأَنَّهُ لَيْسَ بِكَيْل يُعْطِي اللَّهُ الرُّوحَ". حينئذ أجبت موجّهاً الكلام إلى رفاقي: "أَتُرَى يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَمْنَعَ الْمَاءَ حَتَّى لاَ يَعْتَمِدَ هؤُلاَءِ الَّذِينَ قَبِلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ كَمَا نَحْنُ أَيْضاً؟".

فلم يعترض أحد إذ كانت علامة قبول الله لباكورة الأمم أن سكب

عليهم الروح القدس قبل أن يعتمدوا بالماء. عمدتهم بالماء جميعهم ودخلوا كأعضاء مكرمة في جسد المسيح الواحد.

كانت هذه هى باكورة الأمم وما أجملها باكورة، رجلاً تقياً خائف الله، قدَّس حياته بأصوام كثيرة وصلوات وأعمال بر وإحسان، فاستحق أن يأخذ من المسيح هذا النصيب الصالح أن يكون أول أممي ينضم إلى الجسد الواحد.

بماذا أشبِّه هذا الرجل!! وبماذا أسمَّيه؟ هل بإبراهيم الأمم.. أول من آمن واعتمد. وهذه الثمرة التي تبعته جمهرة من الناس. هذه ثمرة حياته حتى قبل دخوله إلى الإيمان بالمسيح. حتى العسكري الذي كان يخدمه كان تقياً. وقد نال مع الجماعة نعمة الخلاص وحل عليه روح الله وقَبِلَ العماد. بل والخدام أيضاً. نعم يارب على العبيد والإماء والأحرار.. على الصغار والكبار. طوَّبت كرنيليوس جداً وغبطته.. نعم فهو مبارك الرب وهو أول من دخل حين فتح الرب للأمم باب الإيمان.

انتشر خبر دخول الأمم بسرعة فائقة وكان يسبب دهشة وسروراً. لم يكن في بال أحد من اليهود أن باب الإيمان يُفتح هكذا للأمم. كان الفكر السائد أننا شعب الله المختار وأبونا إبراهيم ونحن بنو العهد والختان ولنا المواعيد والشريعة ومنَّا الأنبياء. ولكن هل الله لليهود فقط؟ نعم كان هذا هو المعروف والمتمسك به كتعليم. ولكن الآن رأينا أن الله للأمم أيضاً وأن المسيح جاء يخلص العالم كله. المسيح ليس حكراً على أمة أو شعب أو

عصر أو زمن أو بيئة أو لون.

هو مسيح العالم مُخلِّص العالم، رب الكل وإله الكل. جاء يطلب ويخلص من كان ضالاً. أحب العالم.. إلى خاصته جاء أولاً.. فلما لم يقبلوه فتح أحضانه للأمم وجميع الذين يؤمنون به هم مختارون ويُدعَون أبناء الله وهم ورثة الملكوت الذي وعد به.

سمع باقي الرسل والإخوة في كل مكان بقبول الأمم وكانوا بين مُصدِّق ومُكَذِّب ولكن جذور الفكر اليهودي صارت تصنع مناقشات ومماحكات كلام.

فلما نزلت إلى أورشليم قوبلت بعاصفة من المعارضة حتى أن بعض الإخوة خاصموني وقالوا: "إِنَّكَ دَخَلْتَ إِلى رِجَال ذَوِي غُلْفَةٍ وَأَكَلْتَ مَعَهُمْ ". وكأنني متهم؛ وفي واقع الأمر لم يكن لي دور ولا يد في كل ما جرى. كنت كآلة في يد الرب حرَّكني وعمل بي ولست صاحب رأي ولا صاحب كلام "لأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَامِلُ فِيكُمْ أَنْ تُرِيدُوا وَأَنْ تَعْمَلُوا مِنْ أَجْلِ الْمَسَرَّةِ".

فلما وجدت منهم هذا التعصب على غير معرفة بدأت بطول أناة أشرح لهم بالتتابع ما حصل معي من يوم وجودي في يافا والرؤيا التي رأيتها والملاءة النازلة من السماء. وقول الروح لي أن أذهب مع الرجال المرسلين من عند قائد المئة كرنيليوس وذهاب الإخوة الستة من يافا معي وكيف دخلت إلى كرنيليوس وكيف أخبرنا بظهور الملاك له ثم

استدعاني وكيف كلمتهم بالكلمة مبشراً لهم بقيامة يسوع.

وبينما "أنا أَتَكَلَّمُ، حلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْهِمْ كَمَا عَلَيْنَا أَيْضاً فِي الْبُدَاءَةِ. فَتَذَكَّرْتُ كَلاَمَ الرَّبِّ كَيْفَ قَالَ: إِنَّ يُوحَنَّا عَمَّدَ بِمَاءٍ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَسَتُعَمَّدُونَ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ. فَإِنْ كَانَ اللَّهُ قَدْ أَعْطَاهُمُ الْمَوْهِبَةَ كَمَا لَنَا أَيْضاً بِالسَّوِيَّةِ مُؤْمِنِينَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، فَمَنْ أَنَا؟ أَقَادِرٌ أَنْ أَمْنَعَ اللَّهَ؟".

صارت فيهم قناعة بأن العمل من الأول إلى الآخر هو عمل الله وخطة الله وتدبيره منذ الأزل أن يصير الأمم شركاء في الميراث ونوال الموعد. وصاروا يمجدون الله من أجل أعماله التي يتعجب منها.

شهادة يعقوب الرسول

هيرودس هذا الثعلب المملوء مكراً وخبثاً. قاتل يوحنا المعمدان بسبب نزعاته الشريرة وشهواته الرديئة. "مَدَّ هِيرُودُسُ الْمَلِكُ يَدَيْهِ لِيُسِيئَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ الْكَنِيسَةِ". كنوع من السياسة لإرضاء اليهود لأنه كان مكروهاً بسبب سيرته الردية.

قبض على يعقوب الرسول أخو يوحنا وبدون محاكمة أو سؤال عن أية جريمة أو عمل عمله أمر بقطع رأسه بحد السيف. سَرَى هذا الخبر مسبباً حزناً عميقاً في وسط الكنيسة كلها..

أهكذا يا رب؟ أتتركهم يفترسون قطيعك الذي اشتريته بدمك؟

أهكذا ترفع الخطية رأسها؟.. وتبتلع البار؟

أهكذا يكون الظلم؟ وهل هذا هو مصيرنا جميعاً؟

ها دم اسطفانوس يصرخ وقد تبعه دم يعقوب!!

ولكن شدّد الرب النفوس المنكسرة والرُّكب المنحنية سندها بيمينه.. إذ صار كأن يعقوب في استشهاده قد أصبح شفيعاً للكنيسة في السماء ودمه يروي بذرة الإيمان بالأكثر. وعلى عكس ما توقع الجميع صار ينضم إلى الرب جمع أكثر. وحتى بعض كهنة اليهود صاروا مؤمنين. لقد تقوى الإيمان وصار اليقين بميراث لا يفنى حاضراً. حتى أن كثيرين اشتهوا هذا النصيب الصالح وودوا لو يقدمون ذواتهم ذبيحة ليسوع الذي

أحبنا وأسلم نفسه لأجلنا. نار الروح القدس الذي سكبه الآب علينا تتأجج ويزداد لهيبها تضطرم وتضرم القلوب بالحب والعزاء عن كل فقدان في العالم.

طبعاً سَرت رنة فرح عند رؤساء كهنة اليهود وشيوخهم وقدموا شكرهم لهيرودس وأظهروا امتنانهم بشهامته وقوته وسلطانه. فأثلج هذا الأمر صدر هيرودس بالأكثر وزاده زهواً وكبرياءً. وقَدُم على خطوة أخرى أكثر جراءة. وعلى غير توقع وجدت الجند يقبضون عليَّ بلا سؤال وبلا كلام ويسرعون بي بكل عنف إلى السجن.

هذه المرة الثالثة أدخل فيها هذا السجن. ولكن هذه المرة ساقوني إلى الجزء الداخلي من السجن داخل سرداب رطب ومظلم. وفي هذا السجن الداخلي لم يكن أحد من المسجونين.. كان حبس انفرادي.. لا مانع عندي.. فكل شيء يسمح به يسوع يكون لخير الكنيسة كلها ومنفعة للنفوس المفدية.. أنا مِلْكُ الذي اشتراني.

قَدُم قائد الجند. وضع سلسلة من الحديد في يدي اليمنى ثم ربطها في اليد اليسرى لأحد الجنود، ثم سلسلة في يدي اليسرى وربطها في اليد اليمنى لجندي آخر. ما هذا؟ هذا إذاً أمر هيرودس. أهكذا فكر إنني كأقسى المجرمين حتى يربطني إلى عسكريين لئلا أهرب! أم هو خائف؟ مِن مَن؟ إنه لا يعرف الله. كان ذلك

اليوم أحد أيام الفطير قبل الفصح. في مثل هذه الأيام صُلِبَ الرب عني. صُلب بين لصين.. وها أنا مربوط بين عسكريين ولكن أين أنا من احتمال مخلصي. ولكن الصليب الذي أظهر حبه عليه صار لنا علامة شرف وافتخار. لقد فرحنا حينما جلدونا بفرح لا يُنطق به.

لقد صار جلياً أن الفرح ينبع من آلام المسيح. ونور القيامة أشرق من القبر.. هذا حق. لم أشعر بضيق ولا إلى لحظة. ملأني شعور بسلام لا يُعبَّر عنه. لاحظت على وجهي الجنديْن علامات نكد وضيق. إنهما مربوطيْن لمدة في يدي. كأنهما هما محبوسيْن أيضاً. كنت أعزيهما بكلام طيب. فلم يُظهرا قبولاً ولا رفضاً. ظلا صامتين كأنهما قَدّاً من حجر.

على أي حال رفعت عينيَّ إلى الجبال الدهرية ونفسي في حريتها في المسيح وكلمة الله ساكنة في داخلي بغنى.

تواردت في ذاكرتي كلمات يسوع عن الآلام والسجون والوقوف أمام ملوك وولاة شهادة لاسمه. والتعزيات والتشجيع في كلامه: "لأَنِّي أَنَا أُعْطِيكُمْ فَماً وَحِكْمَةً لاَ يَقْدِرُ جَمِيعُ مُعَانِدِيكُمْ أَنْ يُقَاوِمُوهَا أَوْ يُنَاقِضُوهَا"، "كَثِيرَةٌ هى بَلاَيَا الصِّدِّيقِ، وَمِنْ جَمِيعِهَا يُنَجِّيهِ الرَّبُّ"، "أَنْتُمْ سَتَحْزَنُونَ، وَلكِنَّ حُزْنَكُمْ يَتَحَوَّلُ إِلَى فَرَحٍ"، "اَلْمَرْأَةُ وَهى تَلِدُ تَحْزَنُ لأَنَّ سَاعَتَهَا قَدْ

جَاءَتْ، وَلِكِنْ مَتَى وَلَدَتِ الطِّفْلَ لاَ تَعُودُ تَذْكُرُ الشِّدَّةَ لِسَبَبِ الْفَرَحِ". هذا وعد المسيح.

مضت ست ساعات منذ أن ربطوني إلى العسكريين، ثم فُتح باب السجن ودخل القائد ومعه عسكريين آخرين. فك الاثنين المربوطين معي، ثم استبدلهم بالعسكرين الجدد. ثم بعد ستة ساعات أخرى تكرر هذا الأمر. لا يحتمل الجنود أن يدوموا أكثر من ست ساعات!! فأيقنت أن الأوامر كانت أن أُحرس بهذه الحراسة المشددة بأربع ورديات من الجنود على مدى الأربعة وعشرين ساعة. لم أنزعج لهذا الأمر ولكنني في تسليم عجيب أسلمت نفسي للصلاة والتسبيح الداخلي فشعرت وكأنني لست في سجن أو قيود .. بالحق إن كلمة الله لا تُقيَّد.

ثم كانت ليلة الفصح.. يا لها من ليلة عشت فيها ما عاشه الشعب يوم صنعوا الفصح لأول مرة. موسى رئيس الأنبياء ماثل أمامي.. أما رأيته رؤى العين على جبل التجلي.. بالإيمان ذبح الفصح ورش الدم.. وعبر الملاك المهلك وقتل أبكار المصريين أما الموسومين بعلامات الدم فعبر عنهم.

هذا هو عيد العبور.. الفصح.. عبر ملاك الموت عن شعب الله. ثم عبر بنو إسرائيل من العبودية إلى الحرية خلال معموديتهم بيد موسى في البحر الأحمر. عبور بيد قوية وذراع ممدودة.. وغرق فرعون في البحر.

ثم عدت إلى ما صنعه يسوع ربي في تلك الليلة، تفاصيلها الدقيقة محفورة في قلبي ليس كما نُقشت حروف الناموس على الحجارة، بل حفرها الروح القدس في قلبي أذكرها ولا أنساها. يوم أن كسر جسده بإرادته وأعطانا، يوم أن جعل دمه شراباً لا يُرش فقط على المتنجسين فيطهرهم ولا يجعل كعلامة دم لعبور الهلاك. بل من يشربه ينال حياة أبدية. ليلتها تألم الرب بكل الآلام حتى الموت. ولكنني أكرز بالقيامة.. بالعبور الحقيقي من الموت إلى الحياة. غبطت نفسي وكل من هم في المسيح يسوع. ملأني فرحاً وسروراً. وسبحت تسابيح الشكر والبركة والحمد. ولما كان المساء والسجن في ظلام دامس "كَانَ النُّورُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ" ينير داخلي بنور قيامته ويبدد كل ظلمة الفكر عني.

أسلمت جفني للنوم إذ أحسست بسلام كامل.. رحت في نوم هادئ عميق كأني راقد في فراش وثير وكان كل ما حولي يدفعني إلى السلام. لا أعلم كم من الوقت نمت هذا النوم الهادئ غير عابئ بيدي المربوطتين ولا بالجنديين المربوطين في يدي. وفجأة استيقظت على لكزة في جنبي.. ربما أحد الجنود قد لكزني.. آه.. فتحت عيني فجأة لأن نوراً وهَّاجاً أضاء السجن.. ماذا جرى؟! هل طلعت الشمس.. حتى لو طلعت فأنا في السجن الداخلي الذي لا تدخل إليه أشعة الشمس وليس فيه شباك ينير.. لا.. لا.. إنه نور

غير نور الشمس.

لعلي في رؤيا جميلة في نومي الهادئ. نعم إنها رؤيا تعزي نفسي.. أشكرك يا إلهي.. لعلها تدوم إلى لحظات. النور يزداد بهاءً.. نور وهَّاج جداً. لا أستطيع أن أحملق فيه. أغمضت عينيَّ لعلي أنام كما كنت نائماً. ولكني لم أستطع ذلك لأن النور أقوى من أن أغمض عينيَّ عنه.

نظرت ملياً إذ في وسط النور ملاك الرب.. ملاك الرب هو الذي لكز جنبي لا ليضربني بل ليوقظني من نومي. استيقظت ولكن ليس بكل الوعي. سمعت صوت الملاك يكلمني: "قُمْ عَاجِلاً". كيف أقوم وأنا مربوط بسلسلتين مع العسكريين؟ نظرت إذا السلسلتان ليستا في يديَّ.. يديَّ الاثنتين غير مربوطتين.

يا إلهي.. ما هذا الذي يحدث؟! لم يمهلني الملاك لأتفكر. كان كل شيء يجري بسرعة. كأنه يريد أن ينهي مهمة عاجلة نزل من السماء خصيصاً لها. هممت لأقوم.. قمت فعلاً عاجلاً بدون رباطات. بدأت أمشي. نظرت إلى الجنديين. كانا في سبات عميق مثل الموتى بلا حراك. قال لي الملاك: البس منطقتك على حقويك. كانت مطروحة جانبي، التقطتها للحال وشددت نفسي بها.

إذاً أنا الآن مشدد بالمنطقة لخدمة مخلصي أنا عبده وخادمه. كأن ذهني لم يزل نائماً. فقط كنت أطيع بلا كلام. قال لى أيضاً: "الْبَسْ نَعْلَيْكَ".. أطعت حالاً. قال لي أيضاً: "الْبَسْ رِدَاءَكَ وَاتْبَعْنِي". ففعلت هكذا. فخرجت وراءه، كان يسير في نوره الوهاج أمامي.

كنت كأني أمشي مستتراً في النور أو متسربلاً به.. لست أدري. جُزنا المحرس الأول.. الحراس قائمون ولكنهم كأنهم عميان. بعضهم ساقط على الأرض وآخرون بلا حركة قيام. ثم جاز بي المحرس الثاني وهو مضبوط أيضاً بالحراس كل الليل وكل النهار. كان الحراس كسابقيهم.. عبرنا. ثم جئنا إلى باب السجن الخارجي (البَابِ الْحَدِيدِ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْمَدِينَةِ).. اقترب إليه الملاك "فَانْفَتَحَ مِنْ ذَاتِهِ". وهو باب حديد ضخم يحتاج إلى عشرة رجال لكي يفتحوه.. "انْفَتَحَ مِنْ ذَاتِهِ".

يا إلهي أصابتني دهشة عجيبة.. كان كل هذا يجري بسرعة وأنا

كمتفرج.. نعم أتحرك ولكن كأني في غيبة.

ظننت أن ما يجري هو رؤيا.. وأنا لم أزل نائماً.. خرجنا من باب السجن يتقدمني الملاك. ثم دخل أول زقاق قابله عن اليمين سار فيه. سرت وراءه بحركات آلية وذهن غائب.

وفجأة غاب عني الملاك.. إذاً أنا أسير في الشارع حراً طليقاً.. إذاً هذه ليست رؤيا، بل واقع.. دعني أتحسس نفسي، هل أنا مستيقظ بالفعل ولست نائماً؟! ضربت رجلي على الأرض.. سرت بأكثر سرعة.. إنها ساعة متأخرة من الليل أو قرب الفجر..

إن هذا الوقت وقت القيامة.. وقت أن سقطت سلاسل الموت وانفتحت الأبواب الدهرية.

إلى أين أذهب؟ إلى الكنيسة.. لا بد إن إخوتي وأحبائي هناك. لا بد إنهم يصلون بأكثر لجاجة إلى الله. أنا أعرف حبهم.. إنهم أعضاء جسد المسيح. إن تألم أحدنا تداعت له سائر الأعضاء.

لم يكن البيت المجتمعين فيه بعيداً. وجدت نفسي أمام الباب. هل مشيت؟ أم جريت؟ أم حملتني قوة إلهية إلى هناك؟ لست أدري. وقفت أمام الباب المغلق. قرعت الباب.. أسرعت رودا الخادمة إلى الباب. كان الجميع يتوجسون خيفة من أجل الظروف التي تمر بها الكنيسة.

سألت رودا الخادمة وهي وراء الباب.. من بالباب؟ قلت: أنا بطرس. مسكينة لست أدري ماذا أصابها. لم تفتح لي.. بل علمتُ أنها اندفعت

إلى داخل. والكنيسة المجتمعة في حالة صلاة وانسكاب أمام الله. صاحت بدون وعي بصوت قطع عليهم هدوء الصلاة.. بطرس واقف بالباب يقرع.

وقع الصوت كالعاصفة على الجميع.. ماذا تقولين؟! قالت ثانية: بطرس واقف بالباب يقرع. قال بعضهم: مسكينة لعلها لم تنم منذ أن قُبِضَ على بطرس. ربما تهذي أو يكون قد تهيأ لها إنها سمعت قرع الباب.. أين بطرس؟ إننا نعلم أن هيرودس مزمع أن يقدمه للموت في صباح اليوم. لذلك لم نزل الليل كله مصلين بأكثر لجاجة وطلبة إلى الله.

لم نبرح الكنيسة من ساعة القبض عليه. كلنا بقلب واحد ونفس واحدة نصلي إلى الله لأجله.. لم نُصلِّ هكذا بحرارة ودموع.. قال البعض: لا يا رودا إنه ملاكه ألا تعلمين أن من يوم معموديتنا وملاك حارس عيّنه الرب لنا كأولاد الله الذين بقوة الله محروسين!! ولكنها ظلت تؤكد للجميع.. يا أحبائي لست أهذي ولا أنا نائمة أو واهمة ولكنه هو هو.. أنا أعرف صوته جيداً. صدقوني في المسيح أنا لا أكذب. قال البعض: هلموا إلى الباب لنرى. إن الأمر لا يحتاج كثرة كلام ولا جدال.

اقتربوا إلى الباب سمعوا قرعات الباب متتالية. فتحوا الباب وإذا أنا واقف أمامهم. صدر من البعض صراخ والبعض ارتمى عليَّ وبكاء

اختلط بالفرح. لم أجد نفسي في وسط زحام المشاعر الأخوية الصادقة. دخلت معهم وأشرت إليهم بيدي فأعطوا سكوتاً عظيماً. ثم حدثتهم بالتفصيل عما فعله المسيح معي. كيف أرسل ملاكه وخلصني من يد هيرودس ومن انتظار شعب اليهود المتعصبين وأصحاب الدسائس. لم يكن يعقوب ولا بعض الرسل موجودين في هذه الساعة. فقلت للجماعة: "أَخْبِرُوا يَعْقُوبَ وَالإِخْوَةَ بِهذَا " ليمجدوا الرب بالفرح. "ثُمَّ خَرَجْتُ وَذَهَبتُ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ ".

سمعت بعد ذلك إن هيرودس إذ طلبني في الصباح في السجن لكي يقتلني ولم يجدني رغم أن كل استحكامات السجن كانت كما هى، أمر بقتل الحراس. وهم لا ذنب لهم. كان قاسياً قتّالاً. ثم وهو في قيصرية جاء إليه قوم من صور وصيدون يستعطفونه "لأَنَّ كُورَتَهُمْ تَقْتَاتُ مِنْ كُورَةِ الْمَلِكِ" وهو كان مستاء منهم فوَّسَطوا الرجل الناظر على مضجع الملك.

وفي يوم عيد ميلاد هيرودس "لَبِسَ الْحُلَّةَ الْمُلُوكِيَّةَ" وكلم هؤلاء الجموع بكبرياء. فسجدوا له قائلين: "هذَا صَوْتُ إِلهٍ لاَ صَوْتُ إِنْسَانٍ فَفِي الْحَالِ ضَرَبَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ". فكان الدود ينتشر من جسده.. كان الدود يأكله إلى أن مات.. مسكين هذا الإنسان.. الكبرياء أشر الشرور. كم كانت أمامه فرص للخلاص من أيام يوحنا المعمدان. وقد أرسلوا إليه يسوع مكبلاً بالقيود فاستحقره هو وجنوده ومثّلوا به. فرص كثيرة أضاعها

منحدراً وراء شهوات ردية.. وهذه هى النهاية.

مجمع أورشليم

انعقد هذا المجمع من جميع الرسل والمشايخ لأن برنابا وبولس بعدما كرزا للأمم في أماكن كثيرة وأسسا كنائس عديدة معظمها من الأمم الراجعين إلى الله. عادا من كرازتهما وحدَّثا بعجائب الله معهما وآيات كثيرة مذهلة للعقل. وكان هناك بعض اليهود يعلِّمون أن الراجعين إلى الله من الأمم "إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُخْتَنُوا، وَيُوصَوْا بِأَنْ يَحْفَظُوا نَامُوسَ مُوسَى" وإلاَّ فلا يصيروا مسيحيين. هؤلاء حاول بولس وبرنابا إقناعهم فصارت بينهم مناقشات ومنازعات. فلما جاءا إلينا واجتمعنا.

قمت في وسط المجمع وأعدت على مسامعهم باكورة الداخلين من الأمم وكيف حل الروح القدس عليهم كما علينا أيضاً في البداءة وأن الله "لَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ بِشَيْءٍ، إِذْ طَهَّرَ بِالإِيمَانِ قُلُوبَهُمْ". وهم لم يكونوا يهوداً ولا يعرفون العوائد ولا الختان ولا كل ما في شريعة موسى. ولكن لما حل الروح القدس عليهم واعتمدوا بِاسم الرب يسوع نالوا نعمة الخلاص.

فلو كان لا بد لهم أن يسلكوا كيهود قبل أن يصيروا مسيحيين لكان الروح أعلمني بذلك. ولكن حلول الروح القدس عليهم هو أكبر دليل أن لا نلزمهم أن يتهوَّدوا.

كان يعقوب الكبير يرأس المجمع. هو أكبر سناً، فسمع هو والمجمع ما قلته، ثم سمعوا برنابا وشاول وهما يخبران بعمل الله معهما. ثم تكلم يعقوب واستشهد بكلمات النعمة التي تكلمت بها وكتبنا بأيدينا لكنائس الأمم.. إن أولئك الذين أزعجوكم بتعليم لم نعلِّم به ولا ألزمنا أحداً أن يعلِّم به؛ قائلين إنه يجب أن تتهودوا. فالآن إذ اجتمعنا نحن الرسل والمشايخ بنفس واحدة "لأَنَّهُ قَدْ رَأَى الرُّوحُ الْقُدُسُ وَنَحْنُ، أَنْ لاَ نَضَعَ عَلَيْكُمْ ثِقْلاً أَكْثَرَ، غَيْرَ هذِهِ الأَشْيَاءِ الْوَاجِبَةِ أَنْ تَمْتَنِعُوا عَمَّا ذُبحَ لِلأَصْنَامِ، وَعَنِ الدَّمِ، وَالْمَخْنُوقِ، وَالزِّنَا، التِي إِنْ حَفِظْتُمْ أَنْفُسَكُمْ مِنْهَا فَنِعِمَّا تَفْعَلُونَ. كُونُوا مُعَافَيْنَ".

وقد سبب هذا التشريع سروراً عظيماً في جميع كنائس الأمم وصار واضحاً لدى الجميع أننا قد "تبَرَّرْنَا بِإِيمَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، لا بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ".

السنوات الأخيرة

مرت سنوات وسنوات كانت فيها كلمة الرب تنمو وتزداد والكنائس تُبنى وصار لها سلام وبخوف الرب كان المسيحيون يعيشون بنعمة. وكان الرب كالمعتاد يسند الضعفاء ويعزي صغيري القلوب. وكانت الآيات والعجائب في كل مكان أذهب إليه مؤازرة للكلمة ومشددة للنفوس ولا يستطيع أحد أن يصف القوة والنعمة العاملة.

كان الروح يُفلِّح حقولاً بغير عدد ويرويها من ندى السماء فتثمر بإعجاز.

كنت أسافر لبلاد كثيرة وكانت زوجتي تتبعني في كثير من أسفاري وكانت تساندني لأنها كانت ملتصقة بالمسيح وبإيمان فائق وترجع معرفتها بالمسيح وإيمانها به إلى الأيام الأولى كمثلي تماماً. وقد توطد إيمانها عندما شفى المسيح والدتها من الحمى الشديدة وأمسك بيدها وأقامها وفي الحال قامت وكانت تخدم. انتهى بي المطاف في سفري الأخير إلى روما حيث كانت الكنيسة تتكاثر بفعل الروح، شيء فائق حتى إن كلمة الرب بلغت إلى بيت قيصر. وقد آمنت زوجته سراً ولما اكتشف هذا قتلها نيرون الطاغية وصب جامات غضبه على المسيحيين. أخيراً

قبضـــــوا علـــــيَّ وكتبـــــوا قضـــــيتي. وكـــــان الـــرب قـــد أعلمنـــي بـــذلك بـــأن خلـــع مســـكني قريـــب. وكنـــت انتظـــر هـــذا بفـــارغ الصـــبر. "أَكْمَلْـــتُ السَّـــعْيَ، حَفِظْـــتُ الإِيمَانَ".

فلما علم الشعب المسيحي أنه قُبض عليَّ صار فيهم اضطراب عظيم وبكاء ونوح شيء كثير جداً. ودون أن أدري وجدت نفسي خارج السجن. لا أعلم هل كان لبعضهم صلات بكبار ضباط السجن أو كيف حدث هذا.. إذ أُفرج عني دون أية محاكمة. واقتادني الأحباء بفرط الفرح وبسرعة عجيبة لكي أخرج خارج روما. وقد كنت كمغلوب على أمري. ولكن ما حدث هنا كان مختلفاً تماماً عما حدث لي في أيام هيرودس.

يومها كانت يد الرب واضحة وعمله مكشوفاً. هو الذي أخرجني بيد ملاك وقادني ونجاني.

كان أمامي سنوات باقية لعمل كبير لحساب ملكوت المسيح. أما هذه المرة ففيها عمل بشري. ولكن على أية حال ها أنا حر أنجو من الموت. لأنهم كانوا قد حكموا عليَّ بالصلب. كان بعض الفكر يجذب عقلي إنني إن أبقى في الجسد فهذا لمنفعة الكنيسة. ولكن هل هذا من الله أم من الناس؟ لست أدري.

هناك على أبواب روما وقد تركت المدينة طالباً النجاة. وجدت أمامي منظراً رهيباً هز أعماقي وكان كمن يهز إنساناً في نومه ليوقظه. رأيت

يسوع حاملاً الصليب داخلاً إلى روما من الباب الذي أنا كنت مزمعاً أن أخرج منه.

هو هو يسوع. اقتربت إليه: يا مخلصي إلى أين؟! لقد صُلبت وقمت ناقضاً أوجاع الموت. فلماذا تحمل الصليب اليوم؟ سألت يسوع هكذا فأجابني بصوته الذي يرن دائماً في داخلي.. أنا ذاهب لأُصلَب بدلاً منك في روما.

لا يا سيدي.. لا يا سيدي.. أنا آسف عما بدر مني أو من أولادك.

أنا لا أعتفي من الصليب.. "فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ". غاب المنظر من أمامي.. ولم يغب عن قلبي وفكري.

قلت للذين معي.. عودوا بنا إلى روما. ولم توجد قوة في الوجود ترجعني عن عزمي وتصميمي. بكوا واسترحموا وقالوا ما قالوا. قلت لهم.. أنا لي هناك إكليل لا بد أن آخذه.

لم أدرِ كيف رجعت وأسلمت نفسي بنفسي للجلادين ومنفذي الحكم. استغرب الجميع هذا التصرف ولكن رؤية يسوع حاملاً صليبه كانت تملأ نفسي شجاعة وقوة على غلبة الآلام والموت.. المسيح قام.

جاءوا بي إلى مكان تنفيذ الحكم. الخشبة والمسامير والأدوات موضوعة. منظر الجمعة العظيمة ماثل أمامي..

يسوع رب الأرباب وملك الملوك جاز هذه المعصرة وحده. وأنا الآن أسير وراءه.

كنت قد شخت في الجسد فقط ولكن تقدمت في النعمة في الروح وخدمة المسيح وتذكرت كلام الرب: "لَمَّا كُنْتَ أَكْثَرَ حَدَاثَةً كُنْتَ تُمَنْطِقُ ذَاتَكَ وَتَمْشِي حَيْثُ تَشَاءُ. وَلكِنْ مَتَى شِخْتَ فَإِنَّكَ تَمُدُّ يَدَيْكَ وَآخَرُ يُمَنْطِقُكَ، وَيَحْمِلُكَ حَيْثُ لاَ تَشَاءُ".

يا سيدي لتكن مشيئتك.. ليس كما أشاء أنا.

ترجيت الجلادين قائلاً.. أصلبوني منكَّس الرأس.

كان أحاسيس طاغياً في داخلي إنني لست مستحقاً أن أُصلب كسيدي وهكذا كان.

خاتمة

لما أكمل القديس بطرس حديثه الشيق العجيب والفريد الذي لم يشبهه أحد من الناس في سيرته مع المسيح.

– قلت له.. يا سيدى هل تعطيني بعض ما كتب الروح بيدك. احتفظ به ليكون سندي وبنياني في المسيح وفي غربتي على الأرض.

+ مد يده إلى خزانة وأخرج لفتين من ورق الغزال وقال: ها هى وهى موجودة في كل كنيسة من كنائس "الْمُتَغَرِّبِينَ مِنْ شَتَاتِ بُنْتُسَ وَغَلاَطِيَّةَ وَكَبَّدُوكِيَّةَ وَأَسِيَّا وَبِيثِينِيَّةَ، الْمُخْتَارِينَ بِمُقْتَضَى عِلْمِ اللهِ الآبِ السَّابِقِ، فِي تَقْدِيسِ الرُّوحِ لِلطَّاعَةِ، وَرَشِّ دَمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ".

تصفحت الرسالتين وإذا هما مملوءتان من الحكمة والنعمة. وجدت نفسي أنسخهما وأعطيهما لكل نفس تشتاق للحياة مع الله وتسعى لترث ملكوته السماوي. وصارت سيرة القديس بطرس الرسول وكلماته مصدر عزاء من جيل إلى جيل وستظل حتى مجيء الرب حين نلقاه ونرى القديس بطرس كأحد أساسات سور أورشليم العليا.

الفهرس

- مقدمة ٧
- القديس بطرس الرسول يُعلِّمني ٩
- صيد السمك ١٢
- شفاء حماتي ١٦
- اشباع الجموع ١٨
- في الهزيع الرابع ٢٠
- أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ٢٥
- الزحام الشديد ٢٩
- في بيت يايروس ٣١
- إقامة الشاب ابن الأرملة ٣٤
- على جبل التجلِّي ٣٦
- القِ صنارتِك ٤٠
- كم مرة يُخطئ إليَّ أخي ٤٢
- قد تركنا كل شيء ٤٥
- إقامة لعازر الميت ٤٩
- الأسبوع الأخير ٥٦
- شجرة التين ٦٢

- يوم الخميس الكبير ٦٤
- واحد منكم يسلمني ٦٩
- في جثسيماني ٧٢
- محاكمة ظالمة ٨٤
- فجر الأحد ٩١
- سلام لكم! ٩٧
- عودة إلى صيد السمك ١٠٤
- اختبار جديد ١١٢
- حنانيا وسفيرة ١٢٩
- أعمال مجيدة ١٣٤
- استفانوس أول شاهد بالدم ١٤٣
- إينياس في لِدَّة ١٤٩
- كرنيليوس قائد المئة ١٥٦
- شهادة يعقوب الرسول ١٧٢
- مجمع أورشليم ١٨٤
- السنوات الأخيرة ١٨٦
- خاتمة ١٩٠